السبت 22 تموز 2023
العدد 4967 السنة السابعة عشرة
Samedi 22 Juillet 2023 no 4967 17ème année

24 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

هاروكي موراكامي يهدم أسوار المدينة الغامضة

نواب الحاكم إلى الاستقالة... والقطريون سبقوا الودريان إلى بيروت

تحذير من فوضى مالية وأمنية [3]

تيمور جنبلاط
«راديكالي» يرث حزباً «تقدمياً»

[3 ـ 2]

(هيثم الموسوي)

تقرير

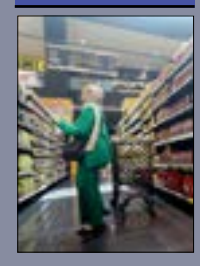

الأولوية لأرباح التجّار... دائماً

4

تقرير

عودة التوتّر إلى سوريا

8

تقرير

انتحار جيوبوليتيكي ينتظر تركيا

10

البلاد

مقابلة

جمال حويك
جنين نموذج المقاومة والوحدة

12

في مواجهة الإبادة الجماعية

14

على الغلاف

46 عاماً من الزعامة الدرزيّة، كانت كافية لوليد جنبلاط حتّى يتنحّى رويداً رويداً من المشهد السياسي: «البيك» لن يعتزل السياسة ولن يُهاجر إلى نيويورك، كما وعد قبل سنوات. سيُبقي العين مفتّحة على رحلة تسليم زعامة المختارة بسلاسة إلى تيمور «الراديكالي» الذي يحيط نفسه بـ«دماء شابة» لا يعنيها التوريث السياسي في حزب «تقدمي» ينادي بالعدالة الاجتماعيّة

تيمور جنبلاط «راديكالي» يرث حزباً «تقدمياً»

ليا فخر الدين

ترؤّس النجل الأكبر لوليد جنبلاط الحزب التقدمي الاشتراكي فكرة ولّدت مع ولادة تيمور عام 1982. مذّاك، بدأت هواجس «أبو تيمور» حول كيفيّة تسليم الإرث الجنبلاطي لابنه البكر، وبدأ الشاب الذي درس العلوم السياسيّة في الخارج يتحضّر للحظة التي ستُرمى فيها العباءة على كتفَيه.

هاجس الاغتيال كان دائماً يقضّ مضجع «البيك». لذلك، حاول دوماً أن يكون جسر عبور كذلك الذي شكّلته «الست نظيرة» لولدها كمال لخلافة فؤاد جنبلاط، وحرص على أن ينال نجله ثقافة تاريخيّة مُعمّقة فاورثه شغف القراءة و«شرّبه» حرفة الزعامة، قبل عملية التسلّم والتسليم، وهي الوحيدة «الطبيعية» في تاريخ هذه العائلة المُعقّد بالاغتيالات.

«الشغل» على تيمور استدعى ورشةً حزبيّة بدأت منذ ما بعد عام 2010، فانشغل «وليد بيك» على «شبشبة» الحزب و«قصقصة» أجنحة «الكبار» وإدخال دم جديد إلى المؤسّسات الحزبيّة، ما أدّى - من دون ضجة - إلى تنحي الرعيل القديم وتسلّم العنصر الشبابي الكثير من المواقع القيادية، حتّى باتت الغلبة لهؤلاء في مجلس القيادة منذ سنوات. ومنذ 3 سنوات، بدأ إدخال العنصر الشبابي إلى مناصب المفوّضين ومديري فروع المناطق وقيادات المؤسّسات، على أن تُستكمل الورشة بالمعتدمين في المناطق.

وليد جنبلاط الذي عانى من سطوة «رفاق» والده في «الحركة الوطنيّة» قبل أن «ينقضّ» عليهم واحداً تلو آخر ويتفرّد بحمل إرث آل جنبلاط، لا يُريد لنجله مسيرةً مُشابهة، خصوصاً أنّه يدرك أنّ قسماً كبيراً من الرعيل القديم لا يحبذون تسليم تيمور، ولن «يبلعوا» انتقال مجد المختارة وأمجادهم إليه. لذلك، عمل الوالد على تعبيد الأرض أمام نجله، فـ«أنتج» له زعامةً لا يقاسمه فيها طلال إرسلان أو وئام وهاب، وحزباً يُشبهه قادراً على تأمين سهولة العبور، و«رفاقاً» لا يفوقونه كثيراً، عمراً وعلماً وخبرة، قادرين على إعطائه من دون أن يكون مُلزماً بـ«ردّ الجميل».

> وليد جنبلاط الذي عانى من سطوة «رفاق» والده في «الحركة الوطنيّة»، لا يُريد لنجله مسيرةً مُشابهة

> «البيك الجديد» متمسك بالقطيعة مع دمشق... ولا لسليمان فرنجيّة ولو رجّحت الدول العربية والأجنبيّة كفّته

الطريق إلى الحزب

بالتالي، صارت الأرضيّة الحزبيّة مُهيّأة للشاب الطري العود، الذي بدأ منذ نهاية 2013 يجلس على المقاعد الخلفيّة في المختارة لتعلّم «علوم الزعامة»، ويشارك في الاجتماعات الحزبيّة بخَفر. ومذّاك، تعلّم كيف يتجذّر في بيئته الاجتماعيّة مجدداً بعد أن عاش بعيداً عنها لفترة طويلة. أربع سنوات كان فيها يستمع ولا يُشارك، حتّى قيل عنه إنّه انخرط في السياسة عنوةً، وهي صورة مغايرة للواقع على ما يقول محيطون به. هدوؤه وخجله وابتعاده عن الإعلام ساهمت في «تضخّم» الحديث عن الشاب الذي لا يُحب السياسة، ولكنه فعلياً «دخل هذا العالم برضاه، وليس فقط لأنّه قدره ونصيبه».

رويداً رويداً، صار زوّار المختارة يسمعون صوته الخافت بعدما أصرّ لسنوات على ألا يخلع كمامته وهو يجلس تحت الخيمة في باحة القصر العلويّة وفي الغرف يستمع إلى مطالبهم، فيما يدوّن «يده اليمنى» ناصر زيدان الملاحظات. وبدلاً من والده، بات يعرف من ينادي ليُتابع القضيّة مع كل وفد: نشأت حسنيّة للقضاء، وائل أبو فاعور وفيصل الصايغ للوظائف والخدمات، وبلال عبدالله للخدمات الخاصة بأهالي إقليم الخروب...

بدأ تيمور يحتكّ مع القواعد الشعبيّة بعدما احترف التعامل مع «عليّة القوم» من المحيطين بوالده، وصار الاحتكاك أكبر مع المسؤولين الحزبيين الذين يرافقون الوفود الشعبيّة إلى المختارة، حتّى بات يعرفهم عن ظهر قلب. نجح نوعاً ما في التعامل الشعبي لينتقل بعدها مباشرةً إلى المجلس النيابي عام 2018، إلا أنّ الانخراط في الحزب التقدمي الاشتراكي بقي محدوداً، وأكثر المشاركات ظهوراً كانت عبر نشاطات «منظّمة الشباب التقدمي».

الوصول إلى الرئاسة

لم يتسلّق تيمور الحزب درجةً درجة، بل تسلّم مباشرةً رئاسته قبل أسابيع. هو ووالده رفضا «عمليّات الديمقراطية الشكلية»، التي اقترحها بعض الحزبيين المقرّبين من المختارة بإمكانيّة أن يترشّح أحد الأشخاص في مواجهة تيمور، أو أن يرئس الحزب «اشتراكي» يمتلك خبرة حزبيّة، ريثما يكون «عظم» الشاب قد قوي. إلا أن الأب والابن رفضا «تمثيليّات التحايل»، كما أصرّ الكثير من القياديين الحزبيين على أن تؤول الرئاسة إلى تيمور باعتباره «صاحب الشرعيّة التمثيليّة». هؤلاء يؤكدون أنهم «منسجمون مع أنفسهم»، من دون أن يعنيهم نقد التوريث السياسي في حزب ينادي بالعدالة الاجتماعيّة، إذ يقرّ هؤلاء بأن تسلّم أي حزبي آخر الرئاسة يعني حتماً أنّ يُسيطر آل جنبلاط على القرارات في نهاية الأمر.

كلّ ذلك، أدّى إلى عمليّة تسليم «سلسة» للحزب من الأب إلى الابن، وصار الحزب يتشبّه أكثر فأكثر بصورة رئيسه الجديد الذي منذ تسلّمه الرئاسة بدأ بوضع قواعده الخاصة وبصماته؛ من دون أن يستفزّ رعيل والده. فأكّد في الاجتماع الأوّل أنّ «تسلّم الشباب والشابّات مقاليد الحكم لا يعني أبداً أن الرعيل القديم لا يصلح للعمل الحزبي». وهو، وفق المقرّبين، كما أصر على أن يكون «الجيل القديم» فريقاً مساعداً، ينوي أيضاً «كسر» الزعامات الحزبيّة التي باتت تنمو حوله وتصوّر نفسها أنّها الأقرب إليه وتستمدّ نفوذها منه. ولذلك، كان حريصاً بالإشارة خلال الاجتماع الأوّل أيضاً على التأكيد أن لا شخصيّات مميّزة داخل فريق عمله، بل «أريد التعامل مع كل شخص بحسب الملف الذي يتسلمه».

هكذا، يُحاول تيمور أن يُظهّر الآليات التنظيميّة على حساب العواطف، من دون أن يترك «الاستثناءات» إلا لوالده. القرب والبعد عن تيمور لا يعنيان له شيئاً، إذ سيبقى «وليد بيك» هو بوابته السياسية إلى العالم الخارجي، من دون أن يترك لأيّ كان أن يعبر منها. ولذلك، فهو يتمسّك مثلاً بالقطيعة التي ورثها عن والده مع دمشق، ويرفضه القطيعة مع الأحزاب اللبنانيّة بغضّ النظر عن اختلافه السياسي معها.

(هيثم الموسوي)

أمّا حزبياً، فيبدو أنّ «رحلة المراقبة» التي مشاها الرئيس الجديد على مدى السنوات الماضية، أثمرت؛ إذ إنّه يعرف خبايا الحزب وقياديّيه وملمّ بالتفاصيل، ما يعطيه القدرة على الحسم في الأمور الحزبيّة بغضّ النظر عن آراء المحيطين به، تماماً كقدرته على «لم» كتلته النيابيّة التي لا «تُنجب» المواقف المتمايزة أصلاً.

على مر سنوات، كان ظل تيمور يكبر على حساب نجم والده الذي قرّر أن يُعطي نجله أكبر قدر ممكن من هامش الحريّة حتّى يتمدّد نفوذه في العائلة والحزب. هو الذي يُدرك تماماً أنّ الابن يُريد ممارسة السياسة على طريقته، ويُردّد أن الطريقة التقليديّة أنتجت أزمات سياسيّة كالتي نعيشها.

ولذلك، كان الملف الرئاسي واحدةً من القضايا الشائكة في المختارة. نجح جنبلاط الأب أن يُبقي على دوره كمُرشد أعلى من دون التدخّل المباشر، ليشير المقربون منه إلى أنّه لن يتدخّل إلا في حال ارتُكبت «الخطايا»، فيما لا يُمكن معرفة ما إذا كان جنبلاط الابن سينجح في خياراته. عليه، فإنّ المواقف المتباينة بعض الشيء في الملف الرئاسي كانت تحدياً. «تيمور سيبقى رافضاً للتسوية، وهو وكتلته سيصوّتان ضدّ سليمان فرنجية حتّى لو أجمعت الدول العربية والأجنبيّة على انتخابه»، بحسب ما يقول المصيفون به، تأكيداً على اختلاف المسار والمصير بين الأب والابن.

كلّ هذا أنتج نقاشات بين شخصيّات الدائرة اللصيقة بالمختارة عمّا إذا كانت رؤية الشاب الآتي من الخارج قد تُفلح. «الراديكالي» في رفضه إدارة اللعبة السياسية بالطريقة التقليديّة والذي يكره التسويات، سيكون زعيماً في بلدٍ يعيش على تسويات اللاغالب واللامغلوب، وسيرث من والده تاريخاً يختزن «كومة» من عمليّات تدوير الزوايا والحسابات السياسيّة بالعودة من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال.

بتيمور، يلعب هؤلاء «صولد» على حافة الهاوية. إنّها «رهانات» على ما إذا كان الشاب قادراً على إحياء الحزب من جديد عبر استقطاب الفئات الشابة، وعمّا إذا كان قادراً على البقاء مقيماً في «راديكاليته» أم أنّه سينغمس عاجلاً أو آجلاً في «وحل» السياسة الدّاخلية.

«إنجاز» القيادة

التوريث السياسي داخل الحزب التقدمي الاشتراكي صار عُرفاً؛ من كمال إلى وليد وصولاً إلى تيمور. لا يُنغّص هذا «فرحة» القياديين في الحزب بمجلس القيادة الجديد باعتبار أن التعويض كان بانتخاب مجلس قيادي معظمه من الشباب والحافظ على مبدأ المناصفة بين النساء والرجال، وتعيين حبّوبة عون نائبة الرئيس. منصب ابنة المشرف لم تنله جائزة ترضية عن خسارتها الحتميّة في الانتخابات النيابيّة، بل أرادها الحزب «نموذجاً للمرأة ذات الكفاءة التي تحمل الشهادة والخبرة الأكاديميّة بيد والخدمات الاجتماعيّة بيدٍ ثانية»، على حد قول بعض الحزبيين، مشيرين إلى أن تجربة الابنة البكر لـ«أبو إسكندر» «عُمّمت داخل مجلس القيادة الجديد مع اختيار أصحاب الكفاءات والشهادات».

لا ينكر القياديون في «الاشتراكي» أنّ مجلس القيادة الجديد أنتج بعض «الحرد» لدى «عدد قليل» من الشخصيات الحزبيّة التقليديّة بعد استبعادها، وأثار «انتقادات» في بعض المناطق، خصوصاً في إقليم الخروب بعدما انخفض عدد الحزبيين السُّنة المنتخبين من 3 من الإقليم ورابعة من الشمال إلى واحد سني من الإقليم هو محمد بصبوص. لكنهم يعتبرون المجلس الجديد «إنجازاً». لافتين إلى أنّه «ليس مجلساً مناطقياً، بقدر ما هو مجلس تمثيلي تمّ فيه توسيع آليات الترشيح لتشمل أصحاب المسؤوليات المتوسطة داخل المؤسسات الحزبية (كمنظمة الشباب التقدمي والاتحاد النسائي التقدمي وكشافة التقدمي...) من أجل توسيع مجلس القيادة وتجديد دمه».

المشهد السياسي

نواب الحاكم إلى الاستقالة... والقطريون سبقوا الودريان إلى بيروت

تحذير من فوضى مالية وأمنية

خلال أيام قليلة، قد ينقلب المشهد رأساً على عقب. كل المؤشرات تفيد بأن تداعيات التصعيد الأخير، منذ لقاء المجموعة الخماسية في الدوحة الإثنين الماضي، لن تتأخر في الظهور تباعاً، فوضى مالية واقتصادية واجتماعية وأمنية، مع اقتراب المواجهة من الساعة الصفر.

صورة شديدة القتامة يرسمها معظم المعنيين للأسابيع والأشهر المقبلة، بعد انتهاء شهور «الهدنة» الاضطرارية التي فرضتها المبادرة الفرنسية، وبعدما طوى لقاء الدوحة صفحة الدور الفرنسي، إيذاناً بجولة جديدة من إدارة الأزمة.

ويتزامن ذلك مع محطة حساسة تتمثل في انتهاء ولاية حاكم مصرف لبنان رياض سلامة (نهاية الشهر الجاري) بعد ثلاثين عاماً من إحكام قبضته على عالم المال، ورفض نوابه الأربعة تولّي المسؤولية من بعده، ما يضع مصير الوضع النقدي على المحكّ. وأقل التقديرات: تحليق جديد للدولار مع ما يستجلبه من مزيد من التضخم وأزمات معيشية وتوترات متنقّلة في الشارع.

هذه ليست مجرد تقديرات، وإنما وفق مصادر مطّلعة، «نتيجة طبيعية» للتطورات الأخيرة المتعلقة بملفين أساسيين: الرئاسة وحاكمية مصرف لبنان.

ففي اليومين الماضيين، سقطت كل المحاولات الحثيثة (والمتواصلة حتى الآن) لإبقاء حاكم مصرف لبنان رياض سلامة في منصبه، بالتمديد أو التجديد. كما سقطت كل محاولات نواب الحاكم الأربعة (وسيم منصوري، بشير يقظان، سليم شاهين وإلكسندر مورادیان) لانتزاع «مشروعية» من مجلس النواب عبر طلب إقرار عدد من القوانين مثل موازنة 2024 وكابيتال كونترول، وإعادة هيكلة القطاع المصرفي وحماية المودعين وقوانين مالية أخرى. كذلك فشلت محاولاتهم للحصول على غطاء لاستكمال «بهلوانيات» سلامة المصرفية والنقدية، ما جعلهم أكثر تردداً في قبول المهمة. وفي هذا الإطار، علمت «الأخبار» أن النواب الأربعة يتجهون إلى الاستقالة الجماعية الثلاثاء المقبل (في حال لم يطرأ أي تطور)، فيما أشارت مصادر مطّلعة إلى أن «رئيس مجلس النواب نبيه بري لا يزال يعارض تسلّم النائب الأول وسيم منصوري دفة الحاكمية، خوفاً من انفجار الوضع وتحميل المسؤولية للثنائي الشيعي». ولفتت إلى أن «النواب الأربعة سيستمرون في عملهم بعد الاستقالة لأن الحكومة ستطلب منهم ذلك تحت عنوان تسيير المرفق العام إلى حين تعيين حاكم مصرف جديد، إلا أن هذا الإجراء سيخفّف عنهم المسؤولية بحسب ما يقولون».

أما سياسياً، وفيما تقاطعت المعطيات التي توافرت عن اجتماع الخماسية في الدوحة عند «وجود نية للانتقال إلى مرحلة جديدة في التعامل مع الملف اللبناني»، كشفت أوساط سياسية أن «المبعوث الفرنسي جان إيف لودريان سيصل إلى بيروت الثلاثاء أو الأربعاء المقبل من دون معرفة ما الذي يحمله من معطيات». وكشفت المصادر أن «القطريين سبقوا لودريان إلى بيروت، وبدأوا حراكاً موازياً، لكن مع هامش أكبر من الحراك الفرنسي»، مشيرة إلى أن «مسؤولين قطريين التقوا ببعض القوى السياسية من بينها نواب الاعتدال ومع مسؤولين من الثنائي». وأكّد أكثر من مصدر أن «القطريين نقلوا تقديراتهم بانتهاء المبادرة الفرنسية بعد الاجتماع الخماسي، وأن موضوع الحوار هو فكرة فرنسية، قد يحصل الحوار برعاية فرنسية لكن

> القطريون طرحوا اسم قائد الجيش مع أطراف ونفوا وجود مرشّح للخماسية مع آخرين

لا غطاء غربياً أو دولياً له». وكان لافتاً أن «القطريين لم ينقلوا جواً واحداً، فهم تناولوا اسم قائد الجيش جوزف عون مع بعض من التقوهم، وبحثوا معهم إمكانية وصوله إلى بعبدا وما إذا كانت المرحلة تسمح بتسويقه، لكنهم عدموا مع قوى أخرى إلى نفي وجود مرشح للخماسية، مؤكدين أنهم لن يكرروا خطأ الفرنسيين في طرح الأسماء وحرقها».

واعتبرت مصادر مطّلعة أن «ما يقوم به القطريون حالياً يؤكد أن ثمة قراراً خارجياً بتقويض الدور الفرنسي وضرب مبادرة باريس، واستبدال الأخيرة بالدوحة. وستتبيّن في المرحلة المقبلة حقيقة الدور الموكل إليها».

ولا ينفصل التصعيد المستجدّ في الملف الرئاسي اللبناني عن المناخات الخارجية التي سادت في المرحلة الأخيرة والمعاكسة لأجواء التقارب والتصالح بين القوى الإقليمية، خصوصاً تلك المؤثرة في المشهد اللبناني، لناحية التشدّد الأميركي في منع أي تأثير إيجابي للتقارب السعودي - الإيراني على ساحات سوريا واليمن ولبنان. وفي هذا الإطار، تقول المصادر إنّ «التصعيد الأخير الذي حمله بيان الخماسية الدولية، وأيضاً بيان البرلمان الأوروبي، يأتي في السياق الأميركي المتشدّد ذاته». وعليه، ترى المصادر أنّ «تحييد المسعى الفرنسي، وتقدّم الرؤية الأميركية للرئاسة اللبنانية، ومعها الرغبة السعودية، كلّ ذلك يمكن اعتباره محاولة جديدة للاستفادة من هذه المناخات لحلّ المعضلة الرئاسية على نحو يعطي للطرف المناوئ لحزب الله في لبنان انتصاراً رئاسياً يستكمل المشهد الذي لم يكتمل في الانتخابات النيابية الأخيرة»، وهذا «يُفسّر مسارعة القوات اللبنانية إلى رفض الحوار الداخلي ومجاهرة رئيسها سمير جعجع بأنّ الهدف هو هزيمة حزب الله في هذا الملف، الذي تمّ حصر الأحقية في البتّ فيه بالأطراف المسيحية وتصويره على أنه استحقاق مسيحي بالدرجة الأولى».

وحذّرت المصادر من أنّ «الخطأ الذي قد ترتكبه أطراف الخماسية هو إذا ما اعتقدت أنّ الموقف الداخلي الرافض للحلول المفروضة رغماً عن رؤيته، ضعيف أو قاصر، فالتجارب، خصوصاً الرئاسية منها، تقول إنّ الداخل هو الحجرُ الأساس في الانفراجات أو التسويات الخارجية، وإنّ تجاوز فريق داخلي لن يؤدي إلى حلّ، حتى لو كان هذا الحلّ مدعوماً أميركياً أو سعودياً». ولفتت المصادر إلى أن «هذا لا يعني أن الفريق الداعم لسليمان فرنجية لديه مشكلة مع قائد الجيش، لكن عدم وجود مشكلة مع العماد عون لا يعني أن يكون رئيساً للجمهورية».

من جهة أخرى، أفادت معلومات بأن السفيرة السويدية في بيروت، آن ديسمور، قرّرت مغادرة لبنان بعدما عزّزت السلطات الأمنية اللبنانية الإجراءات في محيط السفارة السويدية في بيروت. وتأتي هذه الخطوة، بعدما دعا الأمين العام لحزب الله، في كلمة له أول من أمس «الشعوب العربية والإسلامية إلى مطالبة حكوماتها بسحب سفرائها من السويد وطرد سفراء السويد من بلدانها»، فيما تردّد أن وزارة «الخارجية» اللبنانية استدعت السفيرة حيث تم إبلاغها بأنه «من الأفضل لها المغادرة».

(الأخبار)

(هيثم الموسوي)

تقرير

60% من المقيمين عاجزون عن تغطية احتياجاتهم

الأولوية لأرباح التجّار... دائماً

أيّ تصحيح طرأ على الأرباح مقارنة مع الأجور؟ فعلى وقع انهيار قيمة الليرة اللبنانية، خسرت المداخيل نسبة كبيرة من قوّتها الشرائية ولم تعوّض بمايتلاءم مع حجم الخسارة. فيما أتيح للأصحاب الرساميل تنفيذ عملية تصحيح للأرباح تعوّض كامل الخسارة التي لحقتها. السياق بينهما كسبته الأرباح التجارية المستندة إلى تركّز احتكاري وغياب للرقابة. وفي ظل هذا الوضع، لملمت الأسر خسائرها الكبيرة وصارت تتّكل على تحويلات مغتربيها وإعانات الأحزاب. وفي النتيجة، اقتصاد لبنان تشوّه أكثر مما كان عليه

محمد وهبة

منذ بداية الأزمة، ازداد الحدّ الأدنى للأجور، على مراحل، من 675 ألف ليرة شهرياً إلى 9 ملايين ليرة، وزيد بدل النقل من 10 آلاف ليرة عن كل يوم حضور إلى العمل الى 250 ألفاً. وفي القطاع العام، رُفعت الرواتب والأجور أربعة أضعاف وقرّرت الدولة أن تسمّيها مساعدة اجتماعية وأن تلغي وجودها من أساس الراتب. عملياً، كل هذه الزيادات لا تعوّض ما أكله التضخّم من القوّة الشرائية. فالأسعار ازدادت منذ بدء الأزمة بمعدل 39 مرّة، فيما زاد الحدّ الأدنى للأجور بمعدل 13 ضعفاً فقط. وفي القطاع العام بمعدل أربعة أضعاف فقط. وإذا اعتُمد معيار الدولرة لقياس الخسارة أو التعويض اللاحق بالأجور، فإن الحدّ الأدنى كان يبلغ 447 دولاراً وأصبح اليوم 99 دولاراً، أي أنه فقد 348 دولاراً أو نحو 77% من قيمته. وخسر القطاع العام أكثر من ذلك بكثير، إذ إن أساس راتب موظف فئة رابعة مثلاً، أصبح 82 دولاراً بعدما كان يفوق 1000 دولار. وقد بُنيت كل الزيادات على عملية ترقيع بلا أي رؤية اقتصادية واجتماعية، وتزامنت مع تخلّي الدولة عن الدعم تدريجياً.

> **أسعار الغذاء تضخّمت 178 مرة والنقل 108 مرات والدولار 60 مرّة**

في المقابل، تدولرت الأسعار في السوق المحلية بشكل متدرّج، حتى إن بعضها عوّض كامل ما فقدته خلال الأزمة. فأسعار الغذاء، مثلاً، تضخّمت بمعدل 178 مرّة، وزادت أسعار النقل بمعدل 108 مرات، وفق أرقام إدارة الإحصاء المركزي. أي أن أرقام التضخّم تفوق الزيادة في سعر الدولار مقابل الليرة من 1507,5 ليرات إلى 91000 ليرة، أي بمعدل 60 مرّة. ومعدل مضاعفة سعر الدولار يتجاوز بكثير معدلات التصحيح في الأجور. يمكن الاستنتاج، بسهولة، أنه رغم ارتفاع الأسعار العالمية اعتباراً من مطلع 2022، ومع وقف الدعم، فإن الأرباح التجارية ازدادت أيضاً بمعدلات كبيرة وسط فوضى التسعير وغياب الحدّ الأدنى من الرقابة في الأسواق. فعلى سبيل المثال، كان أدنى سعر لكيلوغرام اللحمة يبلغ 8 دولارات قبل الأزمة، وهو الآن أعلى من ذلك. والأمر نفسه ينطبق على كثير من السلع والخدمات.

استهلاك مموّل خارجياً

ثمة سؤال أساسي وسط هذه التطوّرات: إذا كانت الأسعار قد ارتفعت بهذه المعدلات الهائلة، فلا بد أنها انعكست سلباً على معدلات الاستهلاك، وهذا بدوره ينعكس مباشرة على أرباح التجّار. لذا، كيف يمكن تفسير ذلك؟

في الواقع، تصحيح الأرباح صار معتمداً على التحويلات الخارجية التي تعزّز الاستهلاك. ويقدّر البنك الدولي أنه في عام 2022، بلغت قيمة التحويلات الوافدة إلى لبنان من المغتربين نحو 6,4 مليارات دولار، وباتت تمثّل نحو 35,7% من الناتج المحلي الإجمالي في 2022 ونحو 53,8% من الناتج في 2021. وبالتوازي مع التحوّل نحو الاقتصاد النقدي (اقتصاد الكاش)، ومع انكماش الناتج المحلي الإجمالي من 55 مليار دولار قبل الأزمة إلى 16,2 مليار دولار مقدّرة في 2023، فإن الكثير من المؤسسات أقفلت أو أفلست، ومن استمرّ نال حصّة سوقية أوسع ممولة بتحويلات وافدة بالدولار. لكن تحويلات المغتربين ليست الوحيدة الوافدة إلى بنية النظام اللبناني، إذ هناك أيضاً تحويلات آتية من الأمم المتحدة للسوريين تقدّر بنحو 1,2 مليار دولار، وتحويلات إلى منظمات المجتمع المدني والأحزاب والقوى السياسية تقدّر بنحو 2,4 مليار دولار، أي ما مجموعه 10 مليارات دولار. هذا المبلغ يوازي أكثر من ثلثي الناتج المحلّي الإجمالي، ويعزّز الدخل المتاح لدى الأسر التي بات استهلاكها يمثّل 120% من الناتج بحسب أرقام البنك الدولي. عملياً، تحوّل الاقتصاد إلى الاستهلاك بشكل شبه كامل، وما بقي من أنشطة اقتصادية محلية هو نسبة ضئيلة من الناتج.

(هيثم الموسوي)

رابحون وخاسرون

الرابحون في هذا التطور الطارئ على كلّ من الأجور والأرباح هم التجار الذين استغلّوا التحويلات لتعزيز أرباحهم وزياداتها، فيما يحجمون عن تصحيح أجور موظفيهم. أما الحكومة، فبحسب الخبير الاقتصادي إيلي يشوعي، فصارت أمام خيارَين تجاه موظفيها؛ دفع الرواتب والأجور بالدولار، وهذا أمر مستحيل لأن مداخيل الدولار لا تتوافر لدى الخزينة إلا قليلاً، أو رفع سقوف الأجور بالليرة اللبنانية بما يتناسب مع الأسعار في السوق، وهو أمر سيجعل الكتلة النقدية المتداولة ضخمة ويرفع التضخّم إلى أرقام قياسية.

ولدى النقيب السابق للمحاسبة أمين صالح تفسير آخر انطلاقاً من سرعة فلتان سعر الصرف في اقتصاد مدولر بنسبة 77%، إضافة إلى فشل السلطة في مقاربة الأزمة، ما كبح محاولات التدخل لتصحيح الأجور، وأتاح تعزيز الأرباح. فالانهيار في قيمة الليرة «لم يترافق مع تدخل معقول في تصحيح الأجور، لتصبح هذه الأخيرة موازية لنحو 6% من قيمتها السابقة» وفق صالح.

ويرى يشوعي أن الاقتصاد النقدي «قائم الآن على 7% من مجموع الودائع في القطاع المصرفي قبل الأزمة، أي ما يوازي 15 مليار دولار يقوم عليها التبادل والاستهلاك»، وهي لا توزّع بشكل عادل بل تذهب الحصّة الكبيرة من قيمها المضافة إلى جيوب نسبة قليلة حتى بات 60% من المقيمين في مرحلة العجز عن تغطية احتياجاتهم.

تقرير

رفع الرسوم في «الرسمي»

ضغط على الحلقة الأضعف

فاتن الحاج

عشية بدء العام الدراسي، فاجأ وزير التربية، عباس الحلبي أهالي التلامذة في الثانويات الرسمية برفع مساهماتهم في صندوق مجالس الأهل من 750 ألف ليرة، العام الماضي، إلى ما بين 3 و4 ملايين ليرة هذا العام، فيما لم يصدر حتى الآن أي تعميم في ما يخص صندوق المدرسة الذي يسهم فيه الأهل بـ 121 ألف ليرة

> **ترحيب «مفاجئ» من مديري الثانويات في ظلّ الدولرة الشاملة**

للطالب الواحد. ورغم أن المبلغ قد يبدو «ضئيلاً»، إلا أن كثيرين من الأهل من الموظفين والأجراء غير قادرين على توفيره، ما قد يؤدي إلى تسرب مدرسي، فضلاً عن أن الوزارة قررت الضغط على الحلقة الأضعف بدل الضغط على المصارف لتحرير ودائع المدارس الرسمية.

تعميم الحلبي لاقى تأييداً من مديري الثانويات، وبدا كأنهم كانوا ينتظرونه لفتح مدارسهم وتوفير مصاريفها التشغيلية ومستحقات مستخدميها، وتأمين بيئة سليمة. فرأى مدير ثانوية حسين مكتبي الرسمية، حسن خضر، أن التعميم «شرّ لا بد منه مع الدولرة الشاملة، رغم قناعاتنا التاريخية بمجانية التعليم وحق الجميع بالتعلم». وإذ أقرّ بأن التعميم «سيكون مؤلماً للأهل وسيفتح مواجهة صعبة معهم، إلا أن التعليم الرسمي ينازع»، إذ إن المبلغ المفروض، بحسب مديرة ثانوية برج البراجنة أمل السبع، «لا يكفي لتشغيل المدرسة في هذه الظروف الاستثنائية، ولا أعتقد أن لدى الأهل مشكلة في الدفع إذا ما قورن ذلك بأقساط المدارس الخاصة التي لا تقلّ عن 1000 دولار». فيما تذهب مديرة ثانوية البازورية، إلهام فرج، أبعد من ذلك، إذ ترى أن التعميم «مخيّب للآمال، لأن صناديق الثانويات تحتاج الى استعادة قيمة المبالغ التي كانت تستوفيها وفق سعر صرف 1500 ليرة للدولار، أي 180 دولاراً للصندوقين، وإلا فلن تستطيع فتح أبوابها».

وتشير مديرة إحدى الثانويات في طرابلس إلى أن «من يشارك في حفلات التخرج ويدفع كل مستلزماتها لن يغصّ بمبلغ زهيد يؤمن له فرصة التعلم».

هذا التأييد للتعميم «مفاجئ»، بحسب الباحث في التربية نعمه نعمه، وخصوصاً أن أي ارتفاع موازٍ للمساهمات في صندوق المدرسة فإن المبلغ سيصل إلى 7 أو 8 ملايين ليرة، ما يمثّل راتب موظف أو أجير في القطاعين العام والخاص. ووصف هذا التأييد بأنه «خضوع للقهر الأول الذي تمارسه السلطة على المواطنين، فهي تحتاج إلى توظيف وسيط - المدير ليتحول إلى قاهر للفئة الأضعف - المواطن. والمدير هنا يتماهى مع السلطة - القاهر الأول ويصير جزءاً منها». واعتبر ذلك «سلوكاً غير تربوي. فالقيادة تفترض حماية التماهي مع القاهر وممارسة القهر على الأضعف، مشيراً الى أن على القائد التفكير بطرق مبتدعة لحل العقبات وليس رمي الوزر على الأضعف، وهو العالم بنتائج هذا التعميم على التسرب المدرسي أو وضع الملتحقين بالثانويات الرسمية الاجتماعي وقدراتهم المالية». لذلك، «كان الأجدى بالمديرين أولاً رفض هذا القرار ومطالبة السلطة بتحرير أموالهم المحجوزة في المصارف، وإيجاد حلول مبتكرة لمساعدة البيئة الاجتماعية التي ينتمون إليها». وأضاف: «أما إذا كانت الوزارة تحاول الضغط على الجهات المانحة لدعم الثانويات الرسمية أسوة بالتعليم الأساسي، فهذا سلوك مشين أيضاً تمارسه السلطة في كل مرة (كما فعلت بتعطيل مدارس بعد الظهر العام الماضي) أو ممارسات أخرى مشابهة».

(هيثم الموسوي)

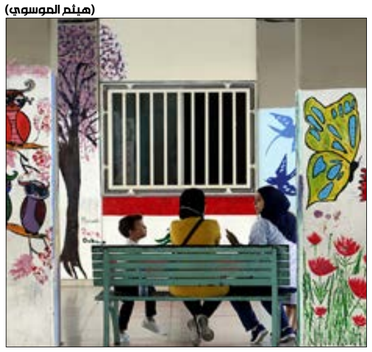

قضاء

انتخابات المحامين: معركة حزبية

يتوقّع أن تشهد انتخابات المحامين في بيروت المقرّرة في الأحد الثالث من تشرين الثاني المقبل منافسة قوية بين الأحزاب المسيحية الثلاثة، التيار الوطني الحر والكتائب والقوات اللبنانية، بعدما رشّح كلّ فريق محامياً حزبياً للعضوية ومنصب النقيب.

ووصل عدد المرشّحين لمنصب النقيب حتى اليوم إلى عشرة بعضهم جدّي في ترشّحه وبعضهم غير قادر على الفوز بالعضوية. والمرشحون لمنصب النقيب هم: الكسندر نجار، فادي المصري

(كتائب)، عبدو لحود (مدعوم من القوات)، الكسندر الياس، فريد خوري، فادي الحداد (تيار)، وجيه مسعد، إبراهيم مسلم، أديب زخور وسميح بشراوي، علماً أنّ باب الترشيحات يُقفل في 30 أيلول المقبل.

وينتظر أن ينتخب المحامون ستة أعضاء بينهم النقيب، باعتبار أنّ ثلاثة أعضاء حاليين في مجلس النقابة لم تنته ولايتهم مرشحون لمركز النقيب، ويتوقّع أن يقدّموا استقالاتهم في الأيّام القليلة المقبلة.

الدولار القضائي

يسجّل تفاوت كبير في تعاطي المحاكم المعنية بمختلف درجاتها واختصاصاتها مع سعر صرف الدولار الأميركي. فالملفات العالقة منذ عام 2022 وما قبله يُحتسب الدولار فيها على أساس السعر القديم 1515 ليرة، ويرتفع سعر الصرف إلى 15 ألفاً في الملفات الجديدة التي قدّمت بدءاً من مطلع عام 2023، فيما تذهب محاكم أخرى إلى اعتماد سعر منصة صيرفة الذي يفوق الـ 85 ألف ليرة للدولار الواحد.

العدليات في قيلولة

مع بدء العطلة القضائية في 15 تموز وحتى 15 أيلول ضمناً، دخلت العدليات والمحاكم في «قيلولة»، إلا في ما ندر. حيث يقتصر العمل على ملفات الموقوفين ومن يستجدّ توقيفه وما قد يطرأ من ملفات «دسمة» خلال فترة المناوبات التي تشهد بدورها تفاوتاً كبيراً بين القضاة أنفسهم، فمنهم من يداوم أياماً معدودة، ومنهم من تصل مناوبته إلى الشهر كما هي حال القضاة الموجودين في الأطراف بعيداً عن بيروت وجبل لبنان.

ضغط على الجنايات

بسبب ضغط العمل وكثرة الملفات والدعاوى وأمور أخرى، لم تتمكّن محاكم الجنايات من تحديد مواعيد جلسات محاكمات في بعض الملفات العالقة أمامها، رغم مرور أكثر من سبعة أشهر على آخر موعد محاكمة، بسبب اعتكاف القضاة الذي استمر من منتصف آب 2022 لغاية كانون الثاني 2023.

تقرير

صادرات لبنان إلى مصر معفاة من الرسوم؟

زينب حمود

لم يتضح بعد إذا كانت السلطات المصرية قد أعفت، رسمياً، الصادرات اللبنانية من الزيادة التي أقرّتها على الرسوم الجمركية المسماة رسوم التنمية، أو صدر قرار «سرّي» بإعفاء لبنان، ولا سيما أن المصدّرين اللبنانيّين يشيرون إلى أن كمية محدّدة فقط من المنتجات اللبنانية أُخضعت لهذا الرسم. الثابت والأكيد أن القرار الذي تبلّغه لبنان عبر وزارة الخارجية، بزيادة الرسوم هو حقيقي وفعلي، وهو يضرّ بموسم التفاح، لكن المسؤولين في لبنان يتحدثون عن «علاقات جيدة بين البلدين».

«قامت قيامة المزارعين بعدما سمعوا عن تعطّل العلاقات التجارية مع مصر، ولا سيّما مزارعي التفاح»، هكذا علّق المدير العام لوزارة الاقتصاد والتجارة محمد أبو حيدر، ورئيس نقابة مستوردي ومصدري الخضر والفواكه في لبنان نعيم خليل، على التقرير الذي نشرته «الأخبار» الأربعاء الماضي بعنوان: «حظر استيراد ورفع رسوم جمركية في مصر: التفاح اللبناني «أكلها»». فما حصل هو أن المسؤولين أجبروا على التحرّك قبل حلول «المصيبة» وخسارة تصريف إنتاج التفاح. وقد تحدّث وزير الزراعة، عباس الحاج حسن، عن المخاوف التي أثارها القرار المصري لجهة حظر الاستيراد ورفع الرسوم الجمركية على الواردات، مشيراً إلى أن «مصر لم تتجاوز اتفاقية التبادل التجاري بين البلدين عام 1998، واتفاقية تيسير وتنمية العلاقات التجارية بين الدول العربية، بل تحترم الروزنامة الزراعية». وقال إن قرار رئيس مصلحة الجمارك المصري، الشحات الغتوري، نفى وجود قرار بحظر استيراد 23 سلعة، من ضمنها الفواكه، لافتاً إلى أن الشحنات اللبنانية إلى مصر لم تتوقف، «بل يجري التبادل التجاري استيراداً وتصديراً بسلاسة مطلقة». ويتحدّث الحاج حسن عن تحضيرات لتعزيز التعاون بين البلدين في إطار الاستزراع السمكي، أي تنمية الأسماك وتربيتها بحراً ونهراً، بالإضافة إلى التلقيح الصناعي للأبقار انطلاقاً من تجربة مصر النموذجية»، ويقصد وراء قول ذلك أنّ «العلاقات التجارية بين البلدين جيّدة جداً ولم يهزّها شيء».

وعن قرار المجلس النيابي المصري القاضي برفع الرسوم الجمركية على السلع المستوردة، يؤكّد الحاج حسن أنّ القرار لم يُطبّق على الواردات اللبنانية بعد، إلا أنه لم يذكر صراحة أن لبنان معفى أو مستثنى من هذه الرسوم، مكتفياً بالقول: «هناك إيجابية في مقاربة الموضوع مع الجانب المصري بعد التواصل مع وزيرَي الزراعة والمالية المصريين، ودعم كل من رئيس مجلس النواب نبيه بري ورئيس الحكومة نجيب ميقاتي هذا الملف». ويتحدث أبو حيدر في هذا الإطار عن «توجّه لإعادة النظر في الرسوم الجمركية على السلع المستوردة من لبنان. الموضوع قيد النقاش ويجري التفاوض عبر الملحق التجاري في السفارة اللبنانية في مصر، وقد أبدى الجانب المصري تفهماً بالحل».

> **قبل عشرة أيام، فُرضت على حاويتين لبنانيّتين تحملان دراقاً وخوخاً رسوم جمركية على المعابر المصرية**

ويقول نعيم خليل: «وصل 120 مستوعباً من المنتجات الزراعية اللبنانية إلى مصر، ودخلت بلا تسديد رسوم جمركية بالتزامن مع إصدار القرارات المصرية». لكنه يشير إلى أن موسم التفاح لا يبدأ قبل منتصف شهرَي آب وأيلول، علماً بأنه جرى تصدير ما بين 30 حاوية و40 حاوية من التفاح التذوّري إلى مصر براً وبحراً، وهو تفاح نادر ينمو بشكل أساسي في البقاع، في النبي عثمان والفاكهة واللبوة». رغم ذلك، فإنه قبل عشرة أيام «فُرضت على حاويتين لبنانيتين تحملان فواكه صيفية من دراق وخوخ رسوماً جمركية على المعابر المصرية، خلافاً لما نصّت عليه الاتفاقيات التجارية بين البلدين. فثارت حفيظة المزارعين، وكان التفاح أكثر ما صرخنا من أجله، حتى تدخّل الرئيسان ميقاتي وبري والوزير الحاج حسن، فألغيت الرسوم عملياً»، كما يروي خليل.

إذاً، هل هناك رسوم جمركية على الصادرات اللبنانية إلى مصر من دون أن يصدر قرار مصري رسمي بذلك؟ في الواقع، يتجنّب المسؤولون في لبنان الحديث عن استثناء لبنان من هذه الرسوم، وهو ما يثير علامات استفهام حول سرية هذه المفاوضات بين الجانبين، إلا أن مصادر وزارة الزراعة تعزو ذلك إلى تجنّب مصر الكشف عن إعفاء لبنان من الرسوم على السلع المستوردة «تفادياً للإحراج مع دول أخرى تصدّر منتجاتها إليها، ولا سيما الدول الأوروبية، وحتى لا تفتح فتوحات على نفسها».

(مروان بو حيدر)

ملاحظات وانطباعات عن لبنان

أسعد أبو خليك *

لبنان بعد 4 سنوات غياب هو غير ما كان عليه على الزائر، طبعاً. هذه بعض ملاحظات سريعة عنه:

1- الوضع السنّي-الشيعي أفضل بكثير مما كان عليه من قبل. هذا لا يعني أنه ليس هناك سنّة متعاطفون مع سمير جعجع أو أنه ليس هناك شيعة يجاهرون بالزهو الطائفي والقوّة، لكنّ هناك خفوتاً في حدّة الكراهية بين الطائفتيْن. الأسباب كثيرة لذلك ومنها صعود حالة طائفيّة مسيحيّة

> **ليس من رصد علمي لحالة اليأس، لكنّ الشعور بأن لبنان وصل إلى الحضيض يمنح الناس أملاً بأن الأمور لا يمكن أن تصل إلى أسوأ، لكن هناك قلّة تقسم لك أغلظ الأيْمان بأن الحضيض لم يبلغ قعره**

انعزاليّة تنادي بالفدرالية. هذه الدعوة تقول للمسلمين كافّة إن المسيحيّين (مع أن الموقف لا يعبّر عن المسيحيّين بل عن أحزاب لهم) لا يريدون العيش مع المسلمين، كلّ المسلمين. من الطبيعي أن يوحّد ذلك الأمر المسلمين. كما أن ردّة الفعل الطائفيّة الشنيعة للكثير من الطائفتيْن المسيحيّين عن تأجيل التوقيت الصيفي احتراماً للصائمين أثبتت للمسلمين أن هناك إسلاموفوبيا بغيضة بين بعض مسيحيّي لبنان (هناك كتاب جديد صدر عن الإسلاموفوبيا في لبنان لعلي قاسم عن دار نشر بلومزبري).

2- سألتُ شاباً مثقّفاً في حزب الله عن الشعارات والطقوس الطائفيّة التي رافقت تدخّل حزب الله في الحرب السوريّة فقال لي بصراحة: أنا شاركتُ في الحرب في القصير وأعترف لك أن التعبئة الطائفيّة وحدها كانت كفيلة بتجنيد المقاتلين وتحميسهم، وأن التعبئة المعتمدة على التحريض الاستراتيجي والسياسي ما كانت ستنفع. أجبته: لكنّ الثمن كان مرتفعاً للغاية، من ناحية تسعير الخلاف المذهبي ومن ناحية رصيد الحزب العربي.

3- أميل لحَود لا يزال أوّل وآخر رئيس وطني في عرفي. تاريخه ناصع ولم يشبْه أي موقف غير وطني. وحده اعتنق عقيدة عداء ضد إسرائيل والصهيونيّة. هل يقدّر حزب الله تضحيات ومواقف هذا الرئيس الوطني؟ هل يزوره أكثر من مرّة في السنة بمناسبة عيد التحرير؟

4- غياب اللهجة الفلسطينيّة مزعج لي. هناك طمس لهذه اللهجة وهناك جيل جديد من الفلسطينيّين يُلبنن لهجته للاستتار.

5- الحديث عن الوجود السوري السياسي مُبالغ فيه والأعمال الصعبة الشاقّة هي من نصيبهم.

6- شارع الحمراء أصابه الإنهاك الشديد، لكن لم يصبه أذى من وفود عرب إليه كما زعم طارق تميم.

7- مدينة صور تغيّرت كثيراً بحكم البناء العشوائي غير المنظّم وردم البحر.

8- المطاعم اللبنانيّة، وهي كثيرة ومتنوّعة، باتت تتخصّص في اختراع أطباق جديدة. هذا ليس محصوراً فقط في «أم شريف». ويُقال إن طبق البوظة مع غزل البنات هو من اختراع مطعم «بابل».

9- بات لحلويات «أمل بحصلي» منافس قوي وجدّي في حلويات «الشدياق». لم أكن قد سمعتُ بها قبل سنوات عندما لفتني غسان سلامة إلى ضرورة تجربة الكرابيج (وكان المحلّ الوحيد موجوداً في وادي شحرور وقد سارع الصديق العزيز، بدر الحاج، إلى إرسال شحنة كرابيج لي وقد نالت إعجابي). كرابيج «الشدياق» (الذي افتتح فرعاً في بيروت قرب فندق «فينيسيا») أسخى من حلويات «البحصلي» من ناحية كميّة حشو الفستق أو الجوز في البقلاوة. وطبق الصفوف ينافس «المكاري». قيل لي إن المنافسة الحادة حسّنت من جودة حلويات «البحصلي».

10- لو كانت السلطة بيدي (من دون صلاحيات استثنائيّة كما تطلب حركة «مواطنون ومواطنات في دولة») لأمرتُ بإغلاق محل عطورات «عصام اللبّان» في الحمراء، ما إن تمرّ أمامه حتى يشهر شابّ زجاجة عطورات بوجهك ويرشّها عليك من دون استئذان. هذه كانت تجري بصورة يوميّة وكنتُ أحاول في البداية أن أجادلهم برفق من دون فائدة. ورائحة العطر كانت نتنة، ما زاد في معاناة المارّة (أوكلوني بالتحدّث باسمهم).

11- قيادة السيّارة في لبنان تزداد صعوبة للقادم من دولة يتقيّد فيها السائقون بالأزياح البيضاء على الطرقات لأن الدرّاجات الناريّة تفاجئك من كلّ الجهات.

12- من المستحيل تذوّق صحن حمّص رديء في لبنان وجودة صحن الفول نادرة إلا في مطعم «بارود» في صور (بات له فرع في الضاحية).

13- قابلتُ وزير الخارجيّة اللبناني، عبدالله أبو حبيب. أوّل سؤال طرحتُه عليه: ما اسمُ السفير الإيراني في لبنان؟ عجز عن الإجابة (استأذنته في نشر هذه الواقعة).

14- الشيعة منقسمون حول الثقافة الدينية في الضاحية والجنوب. العلمانيّون (من أعداء وأصدقاء المقاومة) معارضون بشدّة للمظاهر الدينيّة المنتشرة وصور الرموز، لكن يعترف الصادقون منهم أن الأكثريّة الشيعيّة تؤيّد الحزب أو الحركة.

15- هناك انتقاد لسياسات الحزب الداخليّة من قبل أعضاء في الحزب. هذه أوّل مرّة أسجّل هذه الظاهرة.

16- باعة الصحف الذين أسألهم عن بيع الجرائد يقولون: حسب العنوان. العنوان يؤثّر كثيراً على مبيع الصحيفة في اليوم.

17- هناك العديد من المذكّرات السياسيّة غير المنشورة بعد: من مروان حمادة وعلي غندور، والإهم حتى من ن.ع.

18- إصرار الحزبيّْن الشيعيّيْن على ترشيح شخص واحد لرئاسة الجمهوريّة مزعج للكثير من اللبنانيّين واللبنانيّات، وليس فقط في جمهور أعداء الحزب.

19- كنتُ أقول للعرب في أميركا جواباً على سؤال شكيب أرسلان التاريخي «لماذا تأخّر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم؟»، إن سرّ تقدّم الغرب لا يكمن في تفوق غربي جيني أو حضاري أو ثقافي، بل يكمن في حسن التدريب والإعداد، في كلّ الوظائف والمهام، حتى في خدمة المطاعم. في لبنان، تلحظ غياب التدريب. سرّ نجاح المقاومة الباهر هو في التدريب والإعداد الحديدي بعكس التدريب المتراخي في صفوف المقاومة الفلسطينيّة. تدريب يُذلّ المطاعم كما تدريب العاملين في شركة الطيران اللبنانيّة (أنا أصرّ على نبذ اسم «طيران الشرق الأوسط» لأنها لم تعد شركة طيران إقليميّة كما كانت) تعيس للغاية. سائق التكسي الذي أقلّنا إلى صور أصرّ على بعث رسائل نصيّة وهو يقود السيّارة قبل أن أطلب منه أن يكفّ.

20- ثقافة الرفق بالحيوان تطوّرت كثيراً في لبنان. دليلي؟ بتّ للمرّة الأولى في حياتي أرى (في منطقة رأس بيروت والحمراء) قططاً تفترش منتصف الأرصفة وتنام مرتاحة. هذا دليل على أنها لا تشعر بالخطر أبداً. في زماني كانت القطط تهرب مسرعة من المارّة لأنها كانت تواجه وحشيّة وسماجة صبية الأحياء.

21- لبنان لا يمكن له إلا وأن يصل إلى مستوى من تعايش أنماط الحياة كما هو جارٍ في منطقة شاطئ صور: من شاء فليسفر ومن شاء فلْيحتشم». لا يمكن للخيارات إلا أن تكون حرّة.

22- الإدمان على الكحول وعلى الحبوب المهدّئة منتشر. طبيب نفسي معروف قدّر لي أن عدد المعتمدين على الحبوب (المقرّرة من طبيب مختصّ) يصل إلى ربع الشعب اللبناني.

23- شعارات ورموز «الثورة»، عندما تراها بأمّ العين، تكون أقلّ إزعاجاً للنظر ربما لأنها تبدو لي صبيانيّة ونتاج عقل مُراهق. نَصْب قبضة «الثورة» بالبشاعة والشعارات على الجدران لا تبدو مزعجة لأي سلطة قائمة.

24- تلتقي باناس على المقلب السياسي الآخر وتظنّ أن هناك معرفة سابقة بينك وبينهم، ما يُضفي طابعاً إنسانياً. صدفت شخصية من المقلب الآخر في ساحة في بيروت وأخذنا بعضنا بالأحضان. هذا جانب من العيش في لبنان مع الاختلاف.

25- الحديث عن تنامي النزعات الانفصاليّة عند المسيحيّين غير مبالَغ فيه وهو يضرّ بهم أكثر مما يضرّ بغيرهم، لأنه يوحّد بين الأحزاب المسلمة وهذا قد يدفعها مستقبلاً للعمل بنظام سياسي عددي أو طائفي إسلامي صارخ.

26- الـ«جي بي إس» في لبنان لا يعمل بالسرعة نفسها التي يعمل بها في غير بلدان. في الطريق إلى الزراريّة، مثلاً، كان المفرق يظهر على الخارطة بعد أن تكون قد تجاوزْته بميل أو أكثر. الاعتماد على حركة الكواكب أضمن.

27- قلّما تجد شخصاً يحمل صحيفة بين يديه.

28- ثقافة «كيف تفعل كذا وكذا» (خصوصاً هؤلاء الذين يكتبون إرشادات لتحسين الحياة) منتشرة من خلال النشر والترجمة. وهذه الكتب نوعان: منها غير العلمي (مثل «توني روبنز» أو خالد عطّاس) ومنها غير العلمي لكن بمضمون منطقي.

29- حرم الجامعة الأميركيّة يختلف عن إيّامي. يبدو أقرب إلى نادٍ اجتماعي. لا ألوم الشباب الذي قرف من السياسة ومن متابعتها.

30- ليس من رصد علمي لحالة اليأس، لكن الشعور بأن لبنان وصل إلى الحضيض يمنح الناس أملاً بأن الأمور لا يمكن أن تصل إلى أسوأ، لكن هناك قلّة تقسم لك أغلظ الأيْمان بأن الحضيض لم يبلغ قعره.

31- قال لي بيروتي متأسّفاً: اللهجة البيروتيّة إلى انقراض. هو على حقّ. لم تعد تسمعها ملء الأحياء في بيروت الغربيّة.

32- سألتُ مختصّين عن سبب عدم إصلاح برج المرّ أو الهولليداي إن. السبب معماري، وطريقة التشييد تتطلّب الهدم وإعادة البناء من جديد.

33- هناك جيش يحمي منزل فؤاد السنيورة ونهاد المشنوق ولم أرَ إلا حارساً واحداً أمام منزل إميل لحَود.

34- الكثير من المسلمين يشيدون بنظافة المناطق ذات الأكثريّة المسيحيّة وبعض هؤلاء يفسّرون ذلك بالاستعانة بتعميمات استشراقيّة أو إسلاموفوبيّة.

35- صوت الأذان مرتفع جداً، كما بعض أجراس الكنائس. يُسجَّل للمفتي حسن خالد أنه أفتى قبل عام 1982 بتخفيض صوت مكبّرات الصوت التابعة للمساجد.

36- لا شك أن ثقافة قبول إسرائيل وعدم الاعتراف بخطرها على لبنان والعرب باتت منتشرة، وفي كل الطوائف (المزاج الطائفي يتغيّر عبر السنوات، وهذا حسن في جانب وسيّئ في جانب آخر).

37- قرأتُ في إعلان أن مجلّة «المجلّة» السعوديّة تفخر بأنها أقوى مجلة عربيّة. طبعاً، لأن ليس من منافسة لها.

38- مررتُ بالقرب من منزل فيروز ولم الوَحْ عن بعد.

39- تحتاج إلى حقيبة لحمل العملة اللبنانية المنتفخة.

40- المدقّقون بالجوازات في المطار بطيئو العمل. شاهدت بريطانياً يلقى معاملة خاصّة من قبل الجميع في المطار لأنه يحمل «أمر مهمة» من قبل قائد الجيش. وسمعتُ أنه من القوّات البريطانية. ألم تقولوا إن أمن المطار خاضع للحزب؟

41- الغرب يقول بصراحة إنه لن يسمح بخروج النازحين السوريّين من لبنان والأردن وتركيا، وحلفاء أميركا في لبنان يطالبون بإخراجهم من دون الاعتراف بدور أميركا في منْع إعمار سوريا.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

(مروان بو حيدر)

السيادة في بازار الفئوية والارتهان

سعد الله مزرعاني *

يستدعي موضوع «السيادة» الذي يتكرّر ذكره السعيد بكثرة هذه الأيام، استحضارَ عدة عناوين بعضها تاريخي، والآخر سياسي، ينتمي إلى ظروف المراحل المتعاقبة والمتغيّرة. هو بذلك، إذاً، ثمرة ما كان يحصل من تناقضات وصراعات ومنافسات ومناكفات محلية وإقليمية، وحتى دولية كذلك.

يقول المؤرّخ الكبير الراحل الدكتور كمال الصليبي (مؤلفه: «بيت بمنازل كثيرة») إن لبنان، ككيان سياسي، لم يكن قائماً، بأيّ صيغة قبل أواسط القرن التاسع عشر. المدن الساحلية الفينيقية لم تدخل يوماً مع «جبل لبنان» في علاقة تفاعل، فكيف ككيان مشترك ذي جغرافيا وديموغرافيا محددة. كذلك الأمر بالنسبة إلى «الأقضية الأربعة» (بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا) التي كانت تابعة لولاية دمشق. المدن (الفينيقية) من جهة، والجبل و«الأقضية»، إلى حدٍّ ما، كانت في حالة زئبقية من الكينونة والعلاقات: تابعة أو متبوعة في نطاق الجغرافيا الفلسطينية والسورية («الشامية» عموماً). صيغة «المتصرفية» كانت أول تشكيل سياسي «لبناني» معاصر. وهي تطوّرت مع هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، وبإشراف ورعاية الانتداب الفرنسي، إلى «لبنان الكبير» الذي أعلنه المندوب السامي الفرنسي الجنرال غورو عام 1920 من مقرّه في «قصر الصنوبر» في بيروت.

وفق وقائع صلبة، لا أوهام روَّج لها البعض، لبنان نشأ بعد ظهور «مرض» السلطنة العثمانية قبيل الحرب العالمية الأولى، كـ«صغير» من خلال «المتصرفية»، وكـ«كبير» (بحدوده الحالية) إثر هزيمة السلطنة في الحرب وبعد الانتداب الفرنسي على لبنان وسوريا، وبرعاية وحماية منه.

> **قال أحد أركان «الجبهة اللبنانية» وأمينها العام النائب الراحل إدوار حنين: «لبنان بالتبعية يعتزّ وبالاستقلال يهتزّ». وقع ذلك في امتداد نظرية «قوة لبنان في ضعفه». السيادة إذاً، ليست مطلقة، وهي لا تنجم عن اعتبار وطني**

لا يلغي ذلك أن ثمة مجموعات، في جغرافية لبنان الراهن، قد عانت من الغزوات الخارجية التي تسجل لوحات نهر الكلب بعضها الأساسي. لا شك أيضاً في حصول اضطهاد وصراعات ومجازر، كما حصل تماماً، أو ربما أقل مما حصل في أماكن وبلدان أُخرى، في المنطقة وخارجها. لكنّ لبنان، الكيان السياسي الذي شجّعه ورعاه الفرنسيون (شجّعوا سواه ولم يصمد كالكيانين «العلوي» و«الدرزي» في سوريا)، قد حظي بمبالغات محلية بشأن تأريخه ومبرّرات وجوده وإنجازاته، ذهب بعضها إلى درجة زعم حصول ظاهرة عجائبية لبنانية «فريدة» لم يجُد الزمان بمثلها! تشكّلت في سياق ذلك سردية لبنانوية مبنية على عناوين أو ركائز الاضطهاد والريادة والحذر من الآخر، شريكاً أو جاراً، ومن جهة ثانية التفوق والتميّز والتمايز والأفضلية، إلى عقدة الخوف وطلب الحماية والاستقواء بالخارج (الغرب تحديداً وصولاً إلى امتداده وهو المشروع الصهيوني الاغتصابي).

في مجرى الفانتازيا التي ابتكرتها الفئة اللبنانية التي كانت الشريكة المحلية في توليد «لبنان الكبير»، وهي فئة تتشكّل من بيوتات تجارية ومالية ومرجعيات دينية تتعاون، سياسياً وتجارياً، مع الدول الغربية، نشأ المفهوم الخاص لـ«السيادة» الذي لا يزال حياً يُرزق حتى الآن. كانت السيادة تعني، في الداخل «امتيازات» للمؤسس المحلي مكرّسة في العرف أو في الدستور. وكانت تعني خارجياً الانتماء إلى الغرب، ما يُترجم انسلاخاً عن المحيط العربي وحذراً حيال كل نزعة تحررية تصدر فيه، سواء عبّرت عنها أحزاب أو أنظمة أو ثورات شعبية، ضد المستعمرين وأدواتهم وخصوصاً العدو الصهيوني. لا مشكلة، وفق هذه الرواية، إذا كنت موالياً أو تابعاً للغرب، المشكلة في أن تكون على علاقة ما، ولو جزئية، مع أحد الأشقاء العرب ممن يجاهرون بانتقادهم، ولو الجزئي، للغرب الاستعماري: في صيغه القديمة أو الحديثة.

في هذا السياق، تمّ عام 1958 استدعاء الأسطول السادس الأميركي إلى شواطئ بيروت من قبل الرئيس، آنذاك، كميل شمعون، لدعمه في قمع المعترضين على سياساته الداخلية وارتباطاته الخارجية. عام 1982 تمّ استدعاء الغزو الإسرائيلي والقوات المتعددة الجنسيات، ما أدى إلى احتلال نصف لبنان وتنصيب رئيسين «سياديين» هما بشير وأمين الجميل. أمّا الفلسطيني المشرّد أو المناضل فهو لا يستحق سوى العزل والقمع والتهجير وصولاً إلى خوض حرب تحرير ضده ابتداءً من نيسان عام 1975. كذلك الأمر بالنسبة إلى السوري الذي سبق أن تدخّل في لبنان، عسكرياً، بطلب من الجهة نفسها التي استدعت الإسرائيلي لاحقاً! (لا يلغي ذلك حصول أخطاء جسيمة وممارسات خاطئة ارتُكبت من قبل المسؤولين السوريين والفلسطينيين في لبنان وخارجه).

قال أحد أركان «الجبهة اللبنانية» وأمينها العام النائب الراحل إدوار حنين: «لبنان بالتبعية يعتزّ وبالاستقلال يهتزّ». وقع ذلك في امتداد نظرية «قوة لبنان في ضعفه». السيادة إذاً، ليست مطلقة، وهي لا تنجم عن اعتبار وطني أو مصلحة وطنية لبنانية عامة، بل هي صفة يدّعيها أولئك الذين رسموا للبنان صورة على قياس تصوّراتهم ومصالحهم وفئويتهم وارتهاناتهم. وهم سخّروا في سبيل ذلك عوامل مختلفة وشاملةً حقول السياسة والإدارة والتربية والفن والتراث والتاريخ والأساطير... إنّ هؤلاء وقد تشكّلوا، في مجرى التعاون والتباين والمتغيرات، في نطاق «منظومة» سلطوية واحدة، مع شركاء آخرين من صنفهم طبقياً وفئوياً، قد تمادوا دون حدود في المرحلة الأخيرة إلى درجة توزيع شهادات في السيادة على الآخرين ممن ساهموا في تحرير تراب الوطن من المحتل الذي كانوا هم له حلفاء وشركاء، وإليه التجأ بعضهم، هارباً، بعد مغامرات فاشلة لاستثمار غزو عام 1982!

إنّ التشكّل في منظومة التحاصص الطائفي وهي الصيغة التي اعتمدتها البورجوازية اللبنانية الكبرى للوصول إلى السلطة والاستئثار بها، قد جعل أيضاً السيادة نسبية وفئوية بالنسبة إلى القوى الأخرى في المنظومة المذكورة. نرحّب بالتدخل الأجنبي، بل نستدعيه، إذا كان لمصلحتنا. نرفضه إذا كان العكس. هذا ماثل، حالياً، في المشهد البائس الراهن بشأن مهمة موفد الرئيس الفرنسي لو دريان. ما كان مرفوضاً بالأمس، بالنسبة إلى الموقف الفرنسي، من قبل طرف ما، قد يصبح العكس غداً، إذا تغيّرت المقاربة أو تغيّر الموقف.

الخلل في «الصيغة الفريدة» الذي ولّد الخلل في مفهوم السيادة وفي سواه، هو الذي أدّى، وسط جموح أطقم السلطة اللبنانية المتعاقبة نحو النهب واللصوصية والفئوية والتبعية، إلى انهيار لبنان وخراب شعبه: هو مصدر كل الأزمات.

* كاتب وسياسي لبناني

تقرير

أميركا تُواصل التحشيد... وتركيا تتحصّن شرقاً
عودة التوتّر إلى الميدان السوري

علاء حلبي

بينما تُتابع الولايات المتحدة عمليات تحصين مواقعها في الشرق السوري عبر استقدام مزيد من المعدّات العسكرية، التي وصل آخرها من إقليم كردستان، الأربعاء الماضي، إلى المواقع النفطية السورية التي تسيطر عليها واشنطن، استقدمت الأخيرة المزيد من قواتها، عبر دفعات، ليرتفع عدد جنودها - المعلَن - إلى نحو 1500 يشرفون على فصائل عديدة أبرزها «قوات سوريا الديموقراطية»، و«جيش سوريا الحرة» في منطقة التنف، وفصائل أخرى من مكونات عربية تنشط في الشرق السوري والرقة.

> تشهد عفرين عمليات اقتتال متواصلة، من دون أيّ تدخل من القوات التركية التي تصبّ اهتمامها على تحصين مواقعها شرق الفرات

وبالتوازي مع ذلك، تواصل القوات الأميركية عمليات تجنيد دفعات جديدة من المقاتلين العرب ضمن الفصائل التابعة لها، وفق مصادر ميدانية تحدّثت إلى «الأخبار»، مشيرة إلى «الاستغلال الأميركي لتدنّي مستويات المعيشة لجذب أقصى عدد من المقاتلين عبر تقديم مغريات عديدة لهم». ووفق المصادر، ستباشر القوات الأميركية تدريب هؤلاء بعد استكمال العدد المطلوب، في حين تستعدّ في الوقت الحالي لتدريب مقاتلين في الرقة، بعدما أنهت تدريب أربع دفعات، منذ العام الماضي، في منطقة التنف.

واستكمالاً للحملة الإعلامية المترافقة مع التحرّكات الميدانية الأميركية، يستمرّ عددٌ من وسائل الإعلام في بثّ إشاعات تتعلّق بفصائل المقاومة السورية، آخرُها، وفق المصادر، تلك التي تحاول ربط هذه الفصائل بملفّ المخدرات، الذي تكثّف الولايات المتحدة استثماره في هذه الأيام من أجل تبرير حضورها في سوريا، تماماً كما تعاملت سابقاً مع ملفّ مكافحة تنظيم «داعش». وبحسب أحد المصادر، فإن رفع وتيرة الإشاعات المُشار إليها ربّما يُمهّد لمواجهات متوقّعة بين القوات الأميركية، أو القوات التي تدعمها واشنطن، من جهة، وفصائل المقاومة من جهة أخرى. وفي وقت تستشعر فيه الولايات المتحدة ارتفاع مستوى الضغوطات على قواتها في سوريا، أفشل مجلس نوابها مشروع قرار يُنهي حالة الطوارئ في هذا البلد، من بين خمس دول أخرى، ويدعو إلى خروج القوات الأميركية منه وإنهاء العقوبات المفروضة عليه، وهو ما يساوق جملة خطوات اتُّخذت في الآونة الأخيرة، أحدثها تمرير قانون «الكبتاغون»، وقبله قانون سابق شدّد العقوبات على دمشق، في مسعًى لمضاعفة الضغوط السياسية على الأخيرة، ومعاكسة التوجّه العربي للانفتاح عليها.

وفي المقابل، تتابع روسيا وإيران عمليات تقريب وجهات النظر بين سوريا وتركيا، والدفع نحو خطوات حقيقية على الأرض وفق خريطة الطريق التي كانت قدّمتها موسكو، والتي تقوم على مبدأ «الكلّ رابح»، عبر فتح المعابر الاقتصادية والطرق التجارية التي تمرّ من سوريا نحو دول الخليج، ومن هذه الأخيرة نحو أوروبا عبر سوريا وتركيا، بالإضافة إلى حلحلة ملفّ اللاجئين السوريين في تركيا، وتسهيل إعادتهم إلى بلدهم. وفي هذا الإطار، يحاول وزيرا الخارجية، الروسي سيرغي لافروف، والإيراني حسين أمير عبد اللهيان، تنظيم لقاء سيكون الثاني من نوعه لوزراء خارجية الدول الأربع، إيران وروسيا وسوريا وتركيا. وكان الاجتماع «الرباعي» السابق عُقِد في شهر أيار الماضي، وتبعه لقاء على مستوى نواب وزراء الخارجية، ولقاءات أخرى أمنية وعسكرية، هدفت بمجملها إلى التوافق على خطّة عمل محدّدة بجدول زمني تصرّ دمشق على أن يفضي إلى خروج القوات التركية غير الشرعية من أراضيها، بينما تربطه أنقرة بما تعتبره «مخاطر أمنية» تتعلّق بالأكراد، وترخي الضغوط الأميركية المعرقلة بظلالها عليه.

ميدانياً، تابعت القوات السورية والروسية عمليات الاستهداف اليومية لمواقع انتشار مقاتلي «هيئة تحرير الشام» في أرياف حلب وإدلب واللاذقية، في أعقاب محاولة نفّذتها الأخيرة لاستهداف قاعدة «حميميم» الروسية في جبلة، عبر طائرات مسيّرة تمّ تدميرها على الفور، وفق مصادر ميدانية سورية. وإذ تحاول «الهيئة» تصدّر المشهد كـ«قائد» لفصائل المعارضة عبر شنّ هجمات بين الحين والآخر ضدّ مواقع للجيش السوري، كما والتمدّد في ريف حلب الشمالي، يشهد هذا الأخير حالة غليان بين الفصائل التي بايعت «الهيئة»، وفصائل أخرى مناوئة لها. وفي هذا السياق، تسجّل مدينة عفرين عمليات اقتتال متواصلة، من دون أيّ تدخل من القوات التركية التي تصبّ اهتمامها حالياً على تحصين مواقعها شرق الفرات، وبشكل خاص قرب طريق «M4» الدولي، الذي يمتدّ من أقصى الشرق السوري عبر حلب وصولاً إلى اللاذقية، وتسيطر «قسد» على جزئه الشرقي بدعم أميركي، فيما معظم الجزء الغربي واقع تحت سيطرة الحكومة السورية، باستثناء جيب صغير في ريف إدلب، تراوغ أنقرة في فتحه بعدما تعهّدت بذلك منذ أكثر من أربع سنوات.

أمّا ملفّ اللاجئين السوريين، الذي يقوده كلّ من لبنان والأردن لبدء عودة طوعية لهؤلاء بعد تأهيل البنى التحتية اللازمة، في ظلّ النقص الشديد في تمويل احتياجاتهم عبر المنظمات الدولية، وازدياد الضغوطات الاقتصادية على الدول المستضيفة، فدخل في دوامة الضغوطات الأميركية والأوروبية. وتأخّرت زيارة كانت مقرّرة لوفد حكومي لبناني إلى سوريا لبحث الملفّ، بعد تنحّي وزير الخارجية، عبد الله بو حبيب، عن ترؤّس الوفد، على أن يتمّ لاحقاً تعيين رئيس جديد له وإجراء الزيارة التي قد تستغرق يومين، وفق تقديرات ديبلوماسية لبنانية. ومن شأن التوافق في هذا المجال، في حال تمّ، أن يفتح الباب أمام العودة التي تدافع دمشق بأنها تقدّم من أجلها التسهيلات اللازمة، ما لم يُواجَه بمزيد من الضغوط، وخصوصاً في ظلّ رفع الولايات المتحدة وحلفائها وتيرة التصعيد السياسي لإفشال أيّ خرق للوضع القائم. وفي السياق، رأى مبعوث الرئيس الروسي الخاص إلى الشرق الأوسط، ميخائيل بوغدانوف، أن ملف اللاجئين «قضية معقدة وتحتاج إلى جهد دولي»، مضيفاً أن الملفّ «مرتبط بالوضع الاقتصادي، وعمليات إعادة إعمار البيوت المدمّرة» والتي تعيقها واشنطن.

تستغلّ واشنطن تدنّي مستويات المعيشة لجذب أقصى عدد من المقاتلين العرب من خلال تقديم مغريات لهم (أ ف ب)

العراق

ديناميات شعبية متزايدة لـ«الصدريين»: أولى خطوات العودة؟

بغداد ـ فقار فاضل

يسود الأوساطَ العراقية اعتقادٌ بأن التحرّكات النشطة الأخيرة لأنصار «التيار الصدري»، وأحدثها ضدّ السفارة السويدية تنديداً بسماح السويد للاجئ عراقي مقيم في استوكهولم، للمرّة الثانية على التوالي، بإحراق القرآن، إنّما هي بداية لعودة التيار إلى الساحة السياسية التي غاب عنها منذ سنة تقريباً. وفي نهاية حزيران الماضي، احتشد الآلاف من أتباع «الصدري» في بغداد ومدن عراقية أخرى، بأمر من زعيمهم مقتدى الصدر، للاحتجاج ضدّ حادثة حرق القرآن في السويد، وهو ما عاودوه في الـ20 من تموز الجاري، عندما اقتحموا مبنى السفارة وأضرموا النيران فيها استنكاراً للحادثة نفسها، وهو ما أشعل أزمة ديبلوماسية في ما بين بغداد واستوكهولم. وقبل ذلك، في منتصف تموز، اقتحم «الصدريون»، بشكل مفاجئ، مقرّات حزب «الدعوة» في مختلف محافظات العراق، وأنزلوا صور زعيمه نوري المالكي، كما استهدفوا مقرّه في مدينة النجف بالقنابل، بعد اتّهامهم إيّاه بالإساءة إلى مرجعهم محمد صادق الصدر. أيضاً، تَنشر منصّات إلكترونية على مواقع التواصل الاجتماعي داعمة لـ«الصدري»، يومياً، عشرات المدونات التي تذكّر بقرب عودة التيار من بوّابة النشاطات والفعاليات الشعبية، إلى جانب تذكير الحكومة الحالية بانتهاء المهلة التي تعهّد رئيسها، محمد شياع السوداني، بأن يعالج في خلالها جملة من القضايا التي تمسّ حياة المواطنين كارتفاع سعر صرف الدولار.

> الصدر اعتزل العملية السياسية في حزيران 2022، بعد أشهر من التوترات مع قوى شيعية منافسة

وكان الصدر اعتزل العملية السياسية في حزيران 2022، بعد أشهر من التوترات مع قوى شيعية منافسة بشأن تشكيل الحكومة، الأمر الذي أدّى في نهاية المطاف إلى تقديم نواب كتلته وعددهم 74 استقالاتهم من البرلمان، فضلاً عن غلق جميع مكاتبه السياسية في البلاد. لكن عقد الصدر مؤتمراً صحافياً في مقرّ إقامته في منطقة الحنانة في محافظة النجف حول حادثة حرق المصحف، وتلويحه بالمزيد من التصعيد في حال تكرّرت الحادثة، أثارا تساؤلات بخصوص الخطوات المقبلة للرجل، ولا سيما مع اقتراب موعد انتخابات مجالس المحافظات.

والواقع أن لدى زعيم «الصدري» القدرة، في أيّ وقت، على حشد مناصريه في الشارع، تماماً كما فعل قبل حوالي عام، عندما اقتحم أنصاره، تلبيةً لدعوته، المنطقة الخضراء وسط بغداد، واعتصموا فيها لأسابيع، قبل أن تندلع شرارة مواجهات مسلّحة بين التيار وخصومه، سرعان ما تمّ احتواؤها بتراجع الصدر عن مشروعه لتشكيل حكومة أغلبية.

ويجد أغلب قيادات «الصدري» صعوبة في الإدلاء بتصريحاتهم إلى وسائل الإعلام، نتيجة تعليمات سابقة صادرة عن المكتب الخاص للصدر. لكن قيادياً ومسؤولاً سابقاً في التيار، يؤكد، في حديث إلى «الأخبار»، «نيّة الصدر العودة مجدّداً إلى العملية السياسية»، مستدركاً بأن «ذلك لن يكون فقط من خلال الاحتجاجات الشعبية، وإنما سيكون رجوعاً حتمياً، بعد انتهاء جميع المهل لحكومة الإطار التنسيقي لإدارة البلاد، من دون أن نلمس إصلاحاً حقيقياً أو محاربة للفساد الموجود في البلاد». لكنه لا يتوقّع العودة قبل الانتخابات المحلّية، قائلاً إنه «سمع شخصياً من مقرّبين من الصدر نيّة عدم المشاركة الفعلية في الانتخابات»، غير مستبعِد في الوقت نفسه «دعم بعض القوائم المستقلّة». ويذكّر القيادي بأن «الفعاليات الشعبية لم تنقطع أبداً منذ عام 2003، ومنها صلاة الجمعة، والاحتجاجات أمام السفارة السويدية في بغداد، وكذلك ضدّ حزب الدعوة الذي يسيء إلينا من خلال الجيوش الإلكترونية المرتبطة به وبالمالكي». ويضيف أن «في التيّار قسماً سياسياً، ولكن ثمّة أيضاً أقساماً أخرى تتعلّق بالفعاليات الدينية والشعبية والعسكرية كسرايا السلام مثلاً في سامراء»، كاشفاً أنه «بعد انسحاب السيد مقتدى من السياسة، وجدنا أن هناك الكثير من الأمور داخل التيار التي تحتاج إلى إعادة هيكلتها، فقمنا بها وأولها التدريبات العسكرية لمقاتلينا كحرب الشوارع، وكذلك الإعلام الذي زاد اهتمامنا به خلال الفترة الأخيرة».

من جهته، يرى الباحث في الشأن السياسي، مناف الموسوي، أن «محفّزات عودة الصدر تنقسم إلى ثلاثة، وهي: أوّلاً، إذا شعر أن هناك مشكلات يتعرّض لها الدين الإسلامي أو المذهب تحديداً، وهذا ما لاحظناه من خلال دعوته إلى الاحتجاجات ضدّ سفارة السويد؛ وثانياً: المصلحة الوطنية إذا تعرّضت للخطر؛ وأخيراً، المصلحة المجتمعية كما حدث في تظاهرات تشرين». ويشير الموسوي إلى أن «الصدر بدأ يعود بالفعل من خلال كسر عزلته وصمته، على الرغم من أنه لم يعلن عودته إلى العملية السياسية، أو مشاركته في الانتخابات المقبلة». أمّا المدوّن والصحافي، أحمد حسين، فيعتقد أن «استثمار الاحتجاجات والمناسبات الدينية قد يكون نافذة للصدر لعدم الغياب عن المشهد تماماً، فضلاً عن تحريك دماء أنصاره من خلال تحشيدهم إلى الشارع». ويضيف حسين أن «قرار عودة الصدر إلى المشهد السياسي مرهون برغبته، وليست هناك موانع أو عقبات أمامه، فهو اعتزل العملية السياسية بمحض إرادته، وربّما ستكون العودة بهذا الشكل».

الفعاليات الشعبية لم تنقطع أبداً منذ عام 2003، ومنها صلاة الجمعة، والاحتجاجات أمام السفارة السويدية في بغداد (أ ف ب)

مقالة

قمّة بروكسل الأوروبية - اللاتينية
قواعد اللعبة تتغيّر

وليد شرارة

تكاثر المؤشّرات إلى التحوّل المستمرّ في بنية العلاقات الدولية بين قوى الهيمنة الغربية، المتراجعة، وقوى الجنوب العالمي، الصاعدة. مجريات قمة بروكسل بين الاتحاد الأوروبي ومجموعة دول أميركا اللاتينية والبحر الكاريبي، والتي عُقدت في الـ 17 والـ 18 من الشهر الحالي، كانت بذاتها آخر تلك المؤشّرات إلى مسعى بلدان من الجنوب العالمي لفرض قدر من التوازن والندّية في علاقاتها مع المراكز الاستعمارية السابقة. وقد ركّزت وسائل الإعلام الغربية في معظمها على الخلاف الذي برز بين الطرفين، عند صياغة البيان الختامي للقمّة، حول الموقف من الحرب في أوكرانيا، ورفض دول المجموعة مطالب الاتحاد بإدانة «العدوان الروسي»، واكتفائها فقط بإبداء «القلق العميق إزاء الحرب في أوكرانيا» من دون ذكر روسيا بالاسم، وهي الصياغة التي اعتُمدت بالنتيجة في البيان المذكور، بعد ساعات من النقاش.

لا شكّ في أن ثبات دول المجموعة في مواجهة ضغوط القارة العجوز، لحملها على الانسياق خلفها في مواجهتها الاستراتيجية مع موسكو، بقيادة واشنطن بطبيعة الحال، هو تطوّر مهمّ في سياق التحوّلات الدولية المتسارعة في السنتَين الماضيتَين. غير أن ما لم يحظَ بتغطية كافية من قِبل وسائل الإعلام المشار إليها، هو التجاذب الذي شهدته القمة حول العلاقات البينية بين طرفَيها. فقد امتنعت دول الاتحاد عن الموافقة على إدراج قضية التعويضات عن تجارة الرقيق، والتي طرحها رئيس وزراء سانت فنسنت وجزر غرينادين، والرئيس الحالي لمجموعة دول أميركا اللاتينية والكاريبي، رالف غونزالفيس، في البيان الختامي، وفضّلت الاعتراف «بالمعاناة التي لا توصف التي لحقت بالملايين من الرجال والنساء والأطفال نتيجة لتجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي»، والإعراب عن «الشعور بأسف عميق لحدوثها باعتبارها جريمة ضدّ الإنسانية». بكلام آخر، «ترضية معنوية» في مقابل أهوال ارتُكبت على مدى قرون بحق ملايين الملوّنين، الذين لا يستحقّون، في نظر قادة الاتحاد الأوروبي، مليارات الدولارات التي تُضخّ لدعم الأوكرانيين «من أصحاب السحنات البيض والعيون الزرق والشعر الأشقر الذين يشبهوننا»، كما عبّر أكثر من مراسل غربي عند اندلاع النزاع. لن تتخلّى المراكز الاستعمارية المنحدرة عن سياسة الكيل بمكيالين بسهولة. كلام شارل ميشيل، رئيس المجلس الأوروبي، عن الاحترام المتبادل والروابط الثقافية واللغوية بين الطرفَين لن يفلح في حجب هذه الحقيقة، التي تجلّت أيضاً خلال الحوارات حول العلاقات التجارية والاقتصادية بينهما.

عادت أميركا اللاتينية لتكتسب أهمية بالغة على المستويات الجيواقتصادية والجيوستراتيجية للاتحاد الأوروبي، منذ الإعلان في أواخر 2021 عن مشروع البوابة العالمية (Global Gateway) للبنى التحتية والرقمية لهذا الأخير، والذي اعترف عدد من مسؤوليه وخبرائه بأنه يشكّل ردّاً على مشروع الحزام والطريق الصيني، وما نجم عنه من توسّع لنفوذ بكين الاقتصادي والسياسي. للاتحاد علاقاتٌ اقتصادية وتجارية وازنة مع عدد من دول أميركا اللاتينية، كالبرازيل مثلاً، التي تحتلّ موقع المصدّر الأول للمنتجات الزراعية نحو بلدانه وفقاً لأرقام 2018، وهو يخوض مفاوضات «معقّدة» منذ 20 عاماً مع دول «ميركوسور» (البرازيل والأرجنتين والأورغواي والباراغواي) لتوقيع اتفاقية تجارة حرّة معها. لم تتمّ المصادقة على هذه الاتفاقية حتى الآن بسبب «مخاوف أوروبية حيال السياسات البيئية في هذه البلدان، وخاصة البرازيل»، ما دفع رئيسها لويس اينياسيو لولا إلى القول، خلال قمّة بروكسل، إن الدفاع عن البيئة لا يمكن أن يُستخدم ذريعة لسياسات حمائية من قِبل الاتحاد.

غير أن الأولوية الفعلية التي تفسّر الاهتمام الأوروبي المتعاظم بجنوب القارة الأميركية، هي ضرورة تأمين حصّة وافرة من «المواد الخام الحرجة» (Critical Raw Materials)، وفي مقدّمتها الليثيوم، والتي لا بدّ منها إن أرادت دول الاتحاد استكمال عملية الانتقال نحو التكنولوجيا «الخضراء» غير الملوّثة. هذه المواد هي مصادر طاقة المستقبل، ولدى بلدان ما يسمّى بـ«مثلث الليثيوم»، أي تشيلي والأرجنتين وبوليفيا، حوالي 50% من المخزون العالمي من هذا المورد الاستراتيجي. معطى آخر لا يمكن التعامي عنه بالنسبة إلى الأوروبيين والغربيين، هو أن الصين مستثمر رئيسيّ في هذا القطاع في دول المثلث. وُقّعت مذكرة تفاهم خلال القمة بين تشيلي والاتحاد للشراكة في «سلاسل قيمة المواد الخام المستدامة» (sustainable critical raw material supply chain). لكن ما يثير تحفّظ بقية بلدان أميركا اللاتينية تجاه مثل هذا النمط من الشراكات، هو نموذج تقسيم العمل الاستعماري الذي لا يزال يحكم منطق الاتحاد الأوروبي، والذي يفترض أن ينحصر دور البلدان المنتجة لهذه الموارد باستخراجها، ليتمّ بعد ذلك تصديرها نحو المراكز الرأسمالية «المتقدّمة» لتصنيعها وتحويلها إلى منتجات نهائية يُعاد بيعها في الأسواق العالمية، ويضطرّ المنتجون الأصليون إلى استيرادها! في ختام قمّة بروكسل، رأى الرئيس الأرجنتيني، ألبرتو فيرنانديز، أنها كانت مناسبة استثنائية «للحوار حول كيفية بلورة آلية للشراكة تُخرج أميركا اللاتينية من الاعتماد الحصري على الصناعة الاستخراجية. لقد تطلّب الأمر 500 عام، وأقول ذلك مُمازحاً إلى حدّ ما، لننجح في ذلك». وبمعزل عمّا إذا كان مثل هذا الحوار سيفضي في المدى المنظور إلى صياغة شراكة تتجاوز تقسيم العمل الاستعماري، فإن الأكيد هو أن التحوّل في موازين القوى الدولية لغير مصلحة المراكز الغربية، ووجود منافسين دوليين جدد للأخيرة، هما متغيّران قد عزّزا من قدرة بلدان الجنوب على التفاوض من موقع قوة مع هذه المراكز، والعمل على تعديل أسس العلاقات معها.

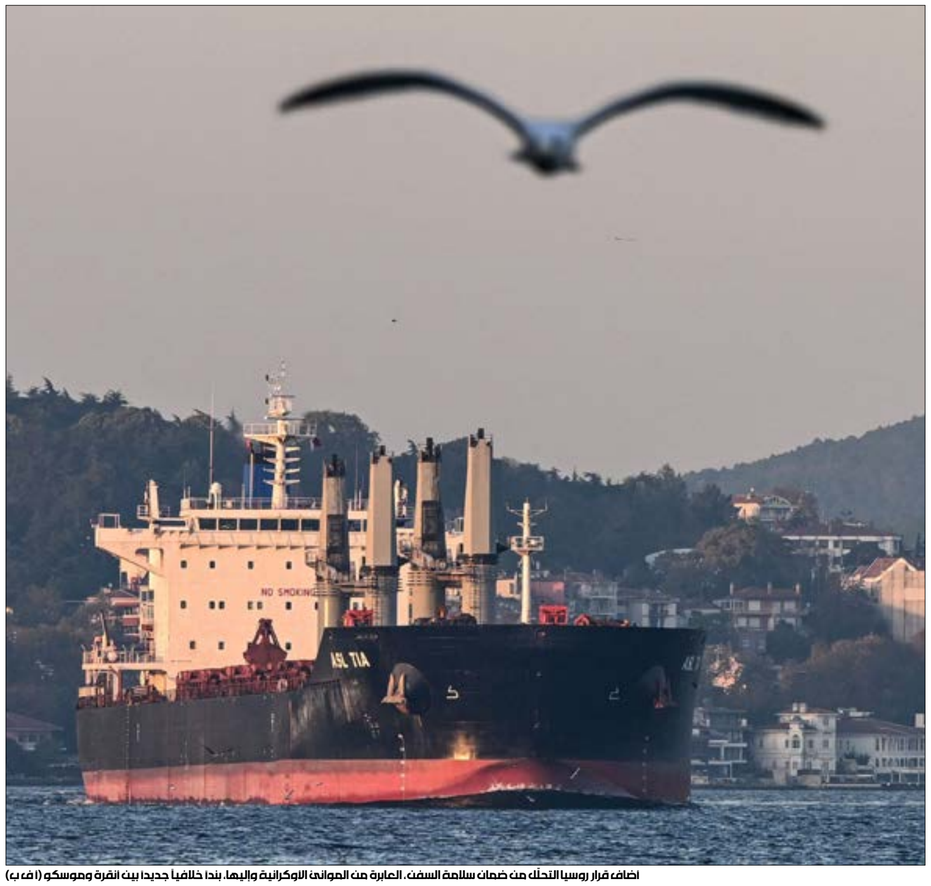

أضاف قرار روسيا التحلّل من ضمان سلامة السفن العابرة من الموانئ الأوكرانية وإليها، بنداً خلافياً جديداً بين أنقرة وموسكو، بعد سلسلة المواقف الاستفزازية التركية الحادّة ضدّ روسيا، وخصوصاً لناحية قبول عضوية السويد في «الناتو» وتأييد عضوية أوكرانيا فيه. ويحمل هذا البند حساسية خاصة بالنسبة إلى أنقرة، بالنظر إلى أن إردوغان وضع رهانات كبيرة على اتفاقية الحبوب، من أجل استكمال تشكيل صورة تركيا «المتوازنة» والراغبة في الاضطلاع بدور الوسيط بين روسيا وأوكرانيا ومن خلفها الغرب، فيما كان جزء من التجاوب الروسي مع متطلّبات هذه الاتفاقية ناجماً عن مراعاة بوتين للعلاقات الطيّبة مع إردوغان. ووفقاً للأرقام، فقد بلغ إجمالي ما حملته السفن من ميناء أوديسا إلى العالم، منذ بدء العمل بالاتفاقية وحتى الانسحاب الروسي منها، حوالى 33 مليون طن من الحبوب، على رأسها القمح

تقرير

سيناريوات «ما بعد اتفاقية الحبوب»
انتحار جيوبوليتيكي ينتظر تركيا

محمد نور الدين

تموز هو شهر المعاهدات الكبيرة، كما المناسبات الاستثنائية الخاصة بتركيا. ففي 24 تموز 1923، كانت «معاهدة لوزان» بين الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى وتركيا. وفي 30 تموز 1936، وُقّعت «اتفاقية مونترو» الخاصة بالمضائق التركية. وفي 20 تموز 1974، بدأت تركيا غزو قبرص في ما سمّته «عملية السلام». وفي 11 تموز الحالي، كانت «التكويعة» التركية المتجدّدة نحو الغرب الأطلسي من خلال «قمّة فيلنيوس» وما تخلّلها من قرارات، ومن بعدها مباشرة جولة تثبيت «المصالحات» مع السعودية والإمارات. وفي 27 تموز، ستُعقد «قمّة المصالحة» بين الرئيسين التركي والمصري في أنقرة، التي سيزورها قبل ذلك رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، وبعده رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو. مع هذا، يبقى ما يشغل بال تركيا شيء آخر تماماً، وهو قلقها من انسحاب روسيا من اتفاقية الحبوب مع أوكرانيا، والتي كانت وُقّعت قبل عام في إسطنبول برعاية الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، شخصياً، وما يثيره الانسحاب من تساؤلات حول تداعياته وإمكانية التراجع عنه، وخصوصاً أن الشهر المقبل سيكون موعد اللقاء الحساس بين إردوغان ونظيره الروسي، فلاديمير بوتين.

وأضاف قرار روسيا التحلّل من ضمان سلامة السفن العابرة من الموانئ الأوكرانية وإليها، بنداً خلافياً جديداً بين أنقرة وموسكو، بعد سلسلة المواقف الاستفزازية التركية الحادّة ضدّ روسيا، وخصوصاً لناحية قبول عضوية السويد في «الناتو» وتأييد عضوية أوكرانيا فيه. ويحمل هذا البند حساسية خاصة بالنسبة إلى أنقرة، بالنظر إلى أن إردوغان وضع رهانات كبيرة على اتفاقية الحبوب، من أجل استكمال تشكيل صورة تركيا «المتوازنة» والراغبة في الاضطلاع بدور الوسيط بين روسيا وأوكرانيا ومن خلفها الغرب، فيما كان جزء من التجاوب الروسي مع متطلّبات هذه الاتفاقية ناجماً عن مراعاة بوتين للعلاقات الطيّبة مع إردوغان. ووفقاً للأرقام، فقد بلغ إجمالي ما حملته السفن من ميناء أوديسا إلى العالم، منذ بدء العمل بالاتفاقية وحتى الانسحاب الروسي منها، حوالى 33 مليون طن من الحبوب، على رأسها القمح والذرة وفول الصويا. وفي حال لم توافق موسكو على تجديد العمل بالصفقة، فستضطرّ كيف لتصدير محاصيلها من الحبوب إلى أوروبا والعالم عبر الممرّات المائية (الأنهار التي تربطها بدول أوروبية) وخطوط السكك الحديدية، وفي ذلك بالطبع كلفة أعلى ووقت أطول.

> يحذّر خبراء أتراك من أن الأزمة الاقتصادية تبدّد الثروة الجيوبوليتيكيّة لتركيا

وعلى رغم أن روسيا ربطت الانسحاب بعدم تلبية مطالبها المتمثّلة في التوزيع العادل للحبوب على كلّ العالم وليس على الدول الغنية فقط، وإدراج حساب وزارة الزراعة الروسية في نظام «سويفت» المالي حتى تتمكّن موسكو من الاستفادة مالياً منه، إلّا أن جزءاً من القرار جاء مدفوعاً، على ما يبدو، بالردّ على مواقف «الصديق» التركي، الذي يسود شعور لدى روسيا بأنه بدأ يفارق موقعه «المتوازن» بين روسيا والغرب. وفي مقابل ذلك، أعلنت تركيا، التي أكدت أن روسيا سحبت بالفعل ممثّليها من مركز التنسيق الرباعي الخاص بالاتفاقية والموجود في إسطنبول، أنها مستعدّة للقيام بأيّ دور لتسهيل إحياء الاتفاقية «حتى لا يعيش العالم دموعاً ومآسي جديدة». وقال رئيس دائرة العلاقات الإعلامية في وزارة الدفاع، العقيد البحري زكي أق تورك، إن «استئناف العمل باتفاقية الحبوب مهمّ للعالم أجمع، حيث تصل الحبوب من خلال هذه الاتفاقية إلى 45 دولة في القارات الثلاث». ومع أن إردوغان أعرب عن اعتقاده بأن «بوتين يريد الاستمرار في عمل هذا الجسر الإنساني»، فقد أبلغت روسيا «المنظمة البحرية العالمية» بوقف العمل بضمان سلامة السفن الآتية أو المغادرة إلى أو من ميناء أوديسا الأوكراني، كما أبلغت الجميع بأنها ستعتبر هذه السفن أهدافاً عسكرية.

على أن العديد من التحليلات في تركيا تذهب إلى ما هو أخطر من ذلك. إذ أطلق الأميرال التركي المتقاعد والمعروف، جيم غوردينيز، تحذيراً من محاولة الغرب استدراج تركيا إلى حرب يراد لها أن تقع بسبب الصعوبات التي تواجهها اتفاقية الحبوب. وقال غوردينيز: «تركيا لم تعترف بضمّ شبه جزيرة القرم إلى روسيا، وهي تعترف بسواحل القرم على أنها تابعة لأوكرانيا، لكن روسيا تقول إن القرم لي وأعلنتها ساحة حرب/ أزمة. ولذلك، فإن روسيا لديها القدرة على تطبيق الحصار الذي تهدّد به». وأضاف أن «تهديد وزير الخارجية الأوكراني بتشغيل الاتفاقية عند الضرورة، أمر يتّصل بوضع المضائق في البوسفور والدردنيل. إن هذا يعني أن تركيا ستضمن أمن السفن لدى مرورها في المضائق، بينما أبلغت روسيا المعنيين أنها لا تضمن أمن السفن المتّجهة إلى أوكرانيا أو الخارجة منها. وهذا يعني بالنسبة إلى تركيا انتحاراً جيوبوليتيكياً». ومن هنا، اعتبر أن «على أنقرة أن تقاوم هذه الضغوط»، منبّهاً إلى أن «السيناريو الأسوأ هو إبعاد تركيا عن سياسة الحياد الإيجابي في البحر الأسود».

وأشار غوردينيز إلى أنه «حتى الآن، ليس من سفينة عسكرية واحدة يمكن أن تدخل إلى البحر الأسود، لكن البعض يعمل على ذلك. ولذا، فإن انزياح تركيا في قمة فيلنيوس 180 درجة إلى جانب الأطلسي أمر مقلق من زاوية الجيوبوليتيك التركي». ورأى أن «شهر تموز هو شهر الانتصارات لتركيا: لوزان، مونترو، قبرص، لكن هذا العام الذي نحتفل فيه بالذكرى المئوية للوزان هو عام سيئ لتركيا، حيث الأزمة الاقتصادية تبدّد الثروة الجيوبوليتيكيّة لتركيا». محذّراً من أن «الأزمة المالية يمكن أن تعوّضها تركيا بعد سنتين أو ثلاث، لكن التنازلات الجيوبوليتيكيّة وتلبية مطالب الإمبريالية الغربية أمر يحتاج إلى عشرات السنين لتعويضه». وأعرب عن اعتقاده بأن «أوكرانيا يمكن أن تعقد اتفاقيات مع دول البحر الأسود. لكن أفضل ما يمكن أن تفعله الآن هو اتفاقيات لتصدير حبوبها عبر رومانيا واليونان إلى أوروبا والبحر الأبيض المتوسط»، متهماً الغرب بـ«ازدواجية المعايير؛ فهو يحذّر من أزمة جوع عالمية، ولكنه هو الذي يمنع تصدير الحبوب إلى أفريقيا ويستحوذ على معظم الحبوب المصدّرة». ووفقاً لما هو متداول، فإن خريطة توزيع صادرات الحبوب إلى العالم تعكس خللاً كبيراً، وهي على النحو الآتي: 40 في المئة إلى أوروبا، 30 في المئة إلى آسيا، 13 في المئة إلى تركيا، 12 في المئة إلى أفريقيا، و5 في المئة إلى الشرق الأوسط.

في المقابل شنّت صحيفة «قرار»، القريبة من أحمد داوود أوغلو وعلي باباجان، حملة كبيرة على بوتين، مشبّهةً إياه بالقيصر بطرس الأكبر. واعتبرت أن الرئيس الروسي، بانسحابه من اتفاقية الحبوب، «يريد تحويل البحر الأسود إلى بحيرة روسية»، مضيفة أن «روسيا، التي لم تقل مرادها من الحرب مع أوكرانيا والتي ووجهت بخطوات تركية نحو الغرب، تزداد عزلة». وكتب أوزغين أجار، بدوره، في صحيفة «جمهورييت»، أن «طبول الحرب تُقرع في البحر الأسود، ولا سيما مع التحذيرات الأميركية ومن جانب الأمم المتحدة، وعمليات تخريب جسر كيرتش المؤدي إلى القرم واتهام روسيا الوحدات الخاصة الأوكرانية بالقيام بذلك، وأخيراً قصف روسيا وإحراقها 60 ألف طن من الحبوب كانت في مستودعات ميناء أوديسا الأوكراني». أمّا نيلغون غوموش، في صحيفة «حرييات»، فعلّقت بأن «الغرب لم يبدِ أيّ تجاوب مع المطالب الروسية، وخصوصاً أنه يعتقد أن بيع روسيا منتجاتها من الحبوب سوف يقوّي ترسانتها الحربية»، لافتةً إلى أن «الأنظار تتّجه اليوم إلى تركيا التي تعمل على أن يقدّم الطرفان تنازلات لاستئناف تفعيل الاتفاقية».

وفيات

عميد وأعضاء السلك القنصلي في لبنان
عائلة الفقيد وأنسباؤهم ينعون إليكم فقيدهم الغالي
الياس حبيب عمار
قنصل جمهورية توغو
تُقبل التعازي اليوم السبت في صالون كنيسة سيدة العطايا (المطرانية) أدما، كسروان من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر حتى السابعة مساءً.

والدتها المرحومة بطرسية مطانيوس حرب
شقيقاها: - الشاعر اميل نون (أمين سر نقابة الشعراء) وزوجته المربية أنطوانيت مدلج وعائلتهما:
الدكتور بيتر نون وزوجته الدكتورة رين مطر وعائلتهما
المحامي بول نون وزوجة الإعلامية لارا سليمان وعائلتهما
الإعلامية بيارات نون أرملة الصحافي المرحوم جوزف عبود وعائلتهما
المربية بولا نون زوجة الدكتور جورج بو عبود وعائلتهما.
- عائلة المرحوم يوسف نون وزوجته المرحومة ماري صفير:
جورج نون وزوجته المربية ماري حلو وعائلتهما
إيلي نون وزوجته الدكتورة مارلين كرم وعائلتهما
سعاد نون زوجة الأستاذ جميل الزغبي وعائلتهما
شقيقتاها: - اميلي نون أرملة المرحوم شفيق مرعي وعائلتهما:
الأستاذ حبيب مرعي (أمين عام التفتيش المركزي السابق) وزوجته نوال حرفوش وعائلتهما
المهندس جورج مرعي وزوجته الدكتورة روبيدا متى وعائلتهما (في المهجر)
نوال مرعي – الدكتور فيكتوريا مرعي – ندى مرعي
- عائلة المرحومة ماري نون زوجة المرحوم جورج بدوي وعائلتهما:
الدكتور فادي بدوي – شادي بدوي (في المهجر)
فاديا بدوي زوجة المهندس نوفل بولس بدوي (في المهجر)
ناديا بدوي زوجة الأستاذ فادي حداد (في المهجر)
وأنسباؤهم ينعون إليكم المرحومة
فيوليت ضومط نون
(أمينة سر دولة رئيس مجلس الوزراء الدكتور سليم الحص سابقاً)
المُنتقلة إلى أحضان الآب السماوي يوم الخميس الواقع فيه 20 تموز 2023 مُزوّدة بالأسرار الإلهية المُقدسة. يُرافق جُثمانها من مدخل بلدة حبوب إلى بلدتها مشمش اليوم السبت 22 الساعة الثانية عشرة ظهراً.
يُحتفل بالصلاة لراحة نفسها اليوم السبت الواقع فيه 22 الجاري الساعة الرابعة بعد الظهر في كنيسة مار ضومط الرعائية، مشمش جبيل ثم تُوارى الثرى في مدافن العائلة – كنيسة مار يوسف – مشمش.
تُقبل التعازي اليوم السبت قبل الدفن وبعده في قاعة الكنيسة من الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً حتى الساعة السابعة مساءً وغداً الأحد الواقع فيه 23 تموز من الساعة الثانية بعد الظهر حتى الساعة السادسة مساءً تُختتم بالقداس الثالث في كنيسة مار ضومط الرعائية.

إعلانات رسمية

إعلان صادر عن دائرة تنفيذ بيروت
يُبلغ إلى المُنفذ عليه عدنان فوزي اللبان المجهول المقام
عملاً بأحكام المادة /409/ أصول مُحاكمات مدنية تُخطرك هذه الدائرة علماً بأن لديها في المُعاملة التنفيذية رقم 2022/521 إنذاراً تنفيذياً مُوجهاً إليك من طالب التنفيذ شركة صخرة البحر العقارية ش.م.ل. وناتجاً عن طلب تنفيذ عقد تأمين وعقد إدخال بحُكم التأمين قيمته 33,600 ل.ل. عدا الفوائد.
وعليه تدعوكم هذه الدائرة الحُضور إليها شخصياً أو بواسطة وكيل قانوني لاستلام الإنذار والأوراق المُرفقة به علماً بأن التبليغ يتم قانوناً بانقضاء مُهلة عشرون يوماً على نشر هذا الإعلان وعلى تعليق نسخة عنه وعن الإنذار المذكور على لوحة الإعلانات لدى دائرة تنفيذ بيروت ليُصار بعد انقضاء هذه المُهلة ومُهلة الإنذار البالغة 10 أيام إلى مُتابعة التنفيذ بحقكم أصولاً حتى الدرجة الأخيرة.
مأمور تنفيذ بيروت
فاطمة دياب عمر

إعلان صادر عن دائرة تنفيذ بيروت
يُبلغ إلى المُنفذ عليه سليم رياض العبسراوي المجهول المقام
عملاً بأحكام المادة /409/ أ.م.م. تُعلمكم دائرة تنفيذ بيروت بأن لديها في المُعاملة التنفيذية رقم 2022/304 إنذاراً تنفيذياً مُوجهاً إليك من طالب تنفيذ نجية قاسم كرامة وناتجاً عن طلب تنفيذ وصية المرحوم رياض سليم العبسراوي أمام المحكمة المذهبية الدرزية في بيروت والمُسجلة بتاريخ 2011/2/2 تحت رقم التسجيل 5/ السجل 16ص 344.
وعليه تدعوكم هذه الدائرة الحُضور إليها شخصياً أو بواسطة وكيل قانوني لاستلام الإنذار والأوراق المُرفقة به علماً بأن التبليغ يتم قانوناً بانقضاء مُهلة عشرون يوماً على نشر هذا الإعلان وعلى تعليق نسخة عنه وعن الإنذار المذكور على لوحة الإعلانات لدى دائرة تنفيذ بيروت ليُصار بعد انقضاء هذه المُهلة ومُهلة الإنذار البالغة 10 أيام إلى مُتابعة التنفيذ بحقكم أصولاً حتى الدرجة الأخيرة.
مأمور تنفيذ بيروت
فاطمة دياب عمر

استراحة

كلمات متقاطعة 4362

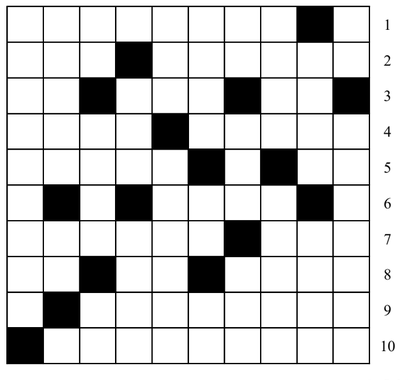

افقيا
1- بلدة لبنانية في قضاء زحلة – 2- مدينة ألمانية – تراب الذهب – 3- سقي – أحرف متشابهة – حفر البئر – 4- مدينة في تركيا إنتصر فيها الإسكندر المقدوني على داريوس الثالث – نهر في سوريا – 5- خاصم أشدّ الخصومة – مشارك في مؤسسة – 6- شاعر أموي – 7- غليظ الخلقة في حمق – علم ومعرفة بالأجنبية – 8- قبيلة عربية من كبار تجّار القوافل – ورك – عاصفة بحرية – 9- والدة الأمبراطور كاليغولا – 10- من أبطال حكايات ألف ليلة وليلة

عمودياً
1- نثر الملح – صحابي وفارس مقدام كانت له مواقف مع رسول الله – 2- شريان – من الحبوب – 3- رجل دين – حي راقٍ في إمارة دبي – 4- قادم – في العود – موجود حسّي – 5- من أبطال اليونان في حرب طروادة – نعم بالأجنبية – منخفض بالأجنبية – 6- لسّ – لباس الطالبات – 7- إزدرى ثيابه – حبّ الرمان – 8- خنزير برّي – ماركة ساعات – للتفسير – 9- خلاف يُسخّنه – حرف نصب – 10- مدينة مصرية

حلول الشبكة السابقة

افقيا
البرازيل – 2- أنَس – دمام – 3- بيرو – فو – لن – 4- رابله – مراة – 5- اري – أش – عنب – 6- هو – دركي – فن – 7- اندريا – مات – 8- جالو – 9- سربلنكا – هي – 10- باب المندب

عمودياً
اوبرا هاوس – 2- يارون – رب – 3- باربي – دنيا – 4- رسول – در – لب – 5- اس – هاريانا – 6- شكا – كل – 7- يدوم – جام – 8- لم – رع – ما – 9- الأثنالبد – 10- امنة بنت وهب

sudoku 4362

4		6	1	9				2
				3			9	
1		2	8	7		6		
5						8		
	6						5	
		7	4					1
		5	6	8	3	4		9
	4			2			7	
8				4	9	5		

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4361

8	4	5	3	1	6	7	2	9
6	1	2	9	7	5	3	8	4
3	9	7	2	8	4	5	6	1
9	5	6	8	4	1	2	3	7
7	3	4	5	9	2	6	1	8
1	2	8	7	6	3	4	9	5
4	8	3	1	2	7	9	5	6
5	6	9	4	3	8	1	7	2
2	7	1	6	5	9	8	4	3

مشاهير 4362

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

دبلوماسية عراقية (1939-1981). زوجة الشاعر السوري نزار قباني
6+7+1+3+5 = صحيفة كويتية ■ 9+2+8+4+3 = لعاب الفم ■ 11+10+1 = ولد بالأجنبية

حل الشبكة الماضية: **اوسكار وايلد**

إعداد
نعوم مسعود

البلاد

مقابلة

أجراها **موسى جرادات**

بعد الأحداث الداخلية المؤسفة في جنين، وما تخلّلها من تظاهرات غاضبة ضد الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة، على خلفية استمرار اعتقال بعض المقاومين، أجرت «الأخبار» هذا الحوار مع جمال حويل، وهو عضو المجلس الثوري لحركة «فتح»، وأستاذ العلاقات الدولية في الجامعة العربية الأميركية وأحد مقاومي جنين 2002، ومؤلف كتاب «معركة مخيم جنين الكبرى 2002: التاريخ الحي» (صادر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2022)

جمال حويل

جنين نموذج المقاومة والوحدة

■ إلى أين تتجه الأحداث الداخلية في جنين، وهل لديكم تصور للحل؟

- حركة «فتح» رسمياً، على لسان الرئيس أبو مازن الذي يقول بأن المقاومة الشعبية السلمية ومواجهة الاحتلال في المحافل الدولية هي الأسلوب الأمثل لهذه المواجهة، في المقابل فإن كوادر وقيادات «فتح» الذين يقاومون في الميدان، يدركون بأن الاحتلال لا يفهم إلا لغة القوة، وبالتالي هناك توجه داخل حركة «فتح» يقول بأن المقاومة الصلبة هي الحل الأمثل لمواجهة الاحتلال. والعديد من كوادر الحركة، سواء في داخل المؤسسة الأمنية «كتائب الأقصى» بقاومون الاحتلال، ويدافعون بشكل قوي جداً في محافظات الضفة كافة. وبالمحصلة، هناك تصور رسمي للحركة وهناك تصور آخر يعبّر عنه كوادر وقيادات الحركة يجد التأييد العارم في صفوف «فتح».

■ مخيم جنين قدّم نموذجاً نضالياً للوحدة الميدانية، هل هذا النموذج قابل للتعميم؟

بالتأكيد، نموذج الوحدة الوطنية قابل للتعميم، إذا كان هناك نوايا من الجميع. وهناك تجارب سابقة وتاريخ طويل من الوحدة الوطنية بين فصائل المنظمة وحركتي «حماس» و«الجهاد الإسلامي»، وبالتالي إمكانية تعميم حالة مخيم جنين واردة، وواجب تعميمها في حال توافر النوايا الصادقة في مواجهة الاحتلال، وليس البحث عن مصالح داخل السلطة أو هنا أو هناك. وباعتقادي إن هذه الحالة يجب أن تدرس، ويجب أن تكون النموذج، فالاحتلال الذي لا يستثني أي فصيل وأي شخص مقاوم من «فتح» أو «حماس» أو «الجهاد» أو «الشعبية» وغيرها من الفصائل، بالتالي كما يقاتلوننا مجتمعين وموحدين، علينا مقابلتهم موحدين تحت راية واحدة، هي راية فلسطين.

■ هل اجتماع الفصائل الفلسطينية في القاهرة قادر، برأيك، على تجسير الهوة وبناء تصور سياسي فلسطيني موحد؟

- بالتأكيد، إن اجتماع الأمناء العامين في القاهرة قادر على تجسير الهوة، وقادر أيضاً على بناء تصور سياسي فلسطيني موحد في حال توافر النوايا الصادقة، مع ضمان آليات التنفيذ، على غرار تشكيل قيادة وطنية موحدة وإجراء انتخابات الرئاسة والتشريعي وتشكيل حكومة انتقالية متفق عليها، من أجل الوصول إلى تنفيذ عملي للوحدة الوطنية، فلا حل للشعب الفلسطيني إلا بالوحدة، شركاء في الميدان يجب أن نكون شركاء في صنع القرار.

■ كل المتضامنين مع القضية الفلسطينية ينظرون إلى التجربة الكفاحية في جنين بعين الرضى، لكن يساورهم القلق عليها، وخاصة في حال، لا سمح الله، دخول هذه التجربة معترك الصراع الداخلي، ماذا تقول بهذا الصدد؟

الصدام الداخلي لن يحدث أبداً، لاعتبارات عديدة، أولها يتعلق بطبيعة الحالة الكفاحية للمقاومة، فالمقاتلون يتمتعون بأخلاق عالية وحالة من النضج تمنعهم من الذهاب إلى هذا المنزلق، مع أن البعض يحاول أن يجرّهم إلى مربع المواجهة والعنف، لكن كما سمعت من كل المقاتلين وعلى لسان «الكتيبة»، وعلى رأسهم الأخ أبو شادي، وكذلك «شهداء الأقصى» و«القسام» وكل المقاتلين، جميعهم يؤكدون أن البوصلة لن تنحرف، وأن المواجهة فقط مع الاحتلال، لكن في المقابل أتمنى على الإخوة في الأجهزة الأمنية، وهم في النهاية أبناؤنا وإخوتنا وأصدقاؤنا، أن يكونوا في المسار نفسه. مخيم جنين كان وسيبقى رمزاً للوحدة الوطنية، ولن تنحرف ولن تنجرف البندقية إلى الداخل الفلسطيني.

■ هل حققت الهجمة الأخيرة على جنين أهدافها، أم أن صمود المقاومة والحاضنة الشعبية لها استطاعا صدّ هذه الهجمة وإفشالها؟

نموذج جنين نموذج حرب المدن وحرب الشوارع، حقق انتصاراً كبيراً. المقاومة أجبرت الاحتلال تحت النار على الانسحاب من دون تحقيق أي هدف من أهدافه، حتى قادة العدو اعترفوا بالهزيمة، فالاحتلال ادعى بأنه سيدخل جنين ويقتل المقاومين أو يعتقلهم، لمنع وجود مقاومة في الضفة الغربية، وخاصة أن عملياته ما قبل الأخيرة التي سمّاها «كاسر الأمواج» كان الهدف منها منع المقاومة من التمدد داخل الضفة الغربية؛ فكانت «عرين الأسود» في نابلس وعقبة جبر ونور شمس وبقية المدن والمناطق، حيث انتقلت المقاومة وتعممت، وصولاً إلى المعركة الأخيرة التي اندحر فيها العدو، وكانت الكلمة الأخيرة للمقاومة من خلال قتل جندي للاحتلال في اللحظات الأخيرة التي سبقت الانسحاب.

ومن خلال هذه المعركة، حققت المقاومة مكاسب متعددة، أولها أنها استطاعت إحياء الوعي الجمعي الفلسطيني والعربي والإسلامي وكل أحرار العالم، وأثبتت بالتجربة العملية أن مساحة جغرافية صغيرة لا تتعدى نصف كيلومتر مربع، وبوحدة ميدانية استطاعت منع الاحتلال من تحقيق أهدافه. لقد قرر المخيم إرسال رسالة إلى الاحتلال بأننا قد لجأنا مرة واحدة ولن نكرر هذا اللجوء مرة أخرى، ووجهتنا لن تكون إلا حيفا ويافا وبقية مدننا المحتلة.

بين المقاومة والسلطة

جنين - **عصري فياض**

على وقع التاريخ الممتد في عمق الزمن، تتجلى جنين ومحافظتها بأروع صور الرفض والمقاومة لكل عدوان أو استعمار أو احتلال. فقبل التاريخ الميلادي بـ 610 أعوام، حارب أهلها الملك الآشوري شاؤول الذي اتخذها حصناً، ثم مرّ فيها سيدنا عيسى عليه السلام، وفتحها المسلمون في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ولم تكسرها السنوات الأربع والثمانون تحت حكم الصليبيين. حتى إن الوباء الذي التهم أهلها إلا عجوزاً واحدة، في زمن المماليك، لم يقض عليها. ولمّا حاول نابليون احتلالها، أثر أهلها حرقها حتى لا يدخلها الجيش الفرنسي. وفي الثلث الأول من القرن المنصرم، احتضنت ثورة الشيخ المجاهد عز الدين القسام. وفي عام 1948 شهدت معركة طاحنة مع العصابات الصهيونية. وقبل وبعد عام 1967 كانت منطلقاً لمجموعات فدائية. وفي الانتفاضة الأولى كانت مشعلاً شعبياً ثائراً. وفي الثانية، أبقونة صمود وتحدّ أذهلت العالم. وفي الأشهر والأيام الماضية والحالية، ما زال بأسها شديداً في مقارعة المحتل، حتى أصبحت عاصمة للتغيير الثوري المطلوب الذي يؤذن بالتماهي مع التغيير الإقليمي والدولي الذي يشهده العالم.

هذا الواقع الذي تعيشه هذه المدينة بالذات، قهر الاحتلال وكسّر مجاديف خطته العسكرية «كاسر الأمواج»، ومزّغ أنف عمليته الأخيرة «بيت وحديقة» في وحل الفشل. بل كان لها المجد في كشف آخر لعورته المتلاحقة والدالة على تآكل حالة الردع التي تغنّى بها عقوداً وسنين طويلة. فما كان من هذا العدو المتقهقر خزياً أمام هذه المدينة ومخيّمها إلا أن يُفعّل أوراقاً أخرى، في محاولة كسر وترويض هذه المدينة حتى لا ينتقل «وباؤها» المحمود إلى باقي الرقاع الفلسطينية مؤذناً بثورة شبابية جديدة شعارها المقاومة المسلحة كسبيل وحيد لإنهاء الاحتلال، بعد أن سئم الشعب الفلسطيني، ومنذ زمن بعيد، خيارات التسوية وسراب السلام الكاذب.

لذلك، لجأ الاحتلال الماكر إلى محاولة تفعيل ورقة العلاقة مع القيادة المتنفّذة في رام الله، والتي لا تزال تعيش في غيّ سراب التسويات بالرغم مما يلاقيه شعبها من قتل يوميّ واغتيالات ومصادرات للأرض والممتلكات وتدنيس المقدّسات، وتوغل الاستيطان، والإذلال على الحواجز والطرقات. فحرّك هذا العدو شغف بعض القيادات المتنفّذة، بإعادة التواصل معها، وإعادة إحياء دورها الفاعل في ضبط الشارع الفلسطيني وخصوصاً في جنين، تحت شعار باهت كاذب وهو السيطرة على جنين ومخيّمها والقضاء على ما يسمونه زوراً وبهتاناً «الفلتان الأمني» - ويقصد به المقاومة الناشئة الصاعدة العظيمة التي تلقى حباً جارفاً ومساندة عارمة من أبناء الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات، بل إنها عنوان لخيار إيماني لا يختلف فيه اثنان، وهو أن المقاومة المسلّحة بالذات هي السبيل لخلاص الفلسطيني من الاحتلال في كلّ فلسطين من النهر إلى البحر.

بعض القادة الذين يعيشون حول رئيس السلطة، ويتناغمون مع مشروعه السياسي، والتي تتنافى هذه الظاهرة مع تطلعاتهم وطموحاتهم السياسية التي ينتظرونها بعد وفاة الرئيس أبو مازن، وتقضّ مضجعهم، يروّجون لهذه الظاهرة على أنها «مشروع إيراني». وذلك من أجل رمي هذه الحالة الثورية بحجر كبير قديم جديد، حتى يجد هذا التصنيف الظالم مساندة من بعض الأنظمة العربية والإقليمية والدولية، وحتى إسرائيل، للوقوف في وجه هذا التيار. ونظراً إلى أن الحقائق الدامغة على الأرض تدحض هذا الادّاء، وتأخذه لمُسلّمة أن هذا الجيل الشاب من الشعب قد ملّ التسويف والانتظار وقرّر أن يأخذ مبادرة نزع حريته بيده أمام صلف المحتل المتغطرس، فلم تستطع هذه القيادات الصدام المباشر مع هذه القوى الشبابية المقاومة، بل لجأت لمحاولة قصقصة امتدادت لهذه الظاهرة خطوة خطوة تمهيداً لحصارها في جنين والمخيّم، والعمل على استمالة كوادرها وعناصرها بأسلوب العصا والجزرة.

فلجأت، ومنذ الساعات الأولى على معركة «بأس جنين»، لاعتقال ثلاثة مجاهدين من جبع وطوباس، هبّوا لنجدة جنين ومخيّمها، واعتقال والد جريح يحاول البعض بثّها من خلال وسطاء، والتي تتضمن الحديث عن عروض مالية مغرية للمقاتلين بمنحهم رواتب عالية والاحتفاظ بالسلاح الشخصي أو تعويض قيمته ورتباً في الأجهزة الأمنية مقابل الكف عن مقاومة الاحتلال بالمقاومة المسلحة. هذا الأمر كشفت عنه صحيفة «كول هيوم» العبرية المتطرفة والقريبة من نتنياهو، والتي أفادت بأن الجانب الإسرائيلي أعطى قراراً بتجنب اقتحام جنين في الفترة القادمة، لإعطاء فرصة للسلطة لكبح جماح هذه المجموعات المقاومة، الأمر الذي لم تنفه السلطة ولم تعلّق عليه، وهو يتطابق مع تعهدات فلسطينية قطعها الجانب الفلسطيني في اجتماعي العقبة وشرم الشيخ، كما أن ما يجري على الأرض يؤكد صحته.

لكنّ فصائل المقاومة، وعلى رأسها «كتيبة جنين»، والتي يتّسم قادتها وعناصرها بالوعي والتجربة، أبدوا الحرص العظيم على التمسك بالحكمة والصبر وحرمة الدم الفلسطيني، وسعيهم الدؤوب للوحدة الوطنية التي كانت ولا تزال ميزان الصمود والتصدي والتحدي للمحتل. وهذه الوحدة بين كل الفصائل المسلحة قد تجسّدت بالميدان في كل مراحل المواجهة وعُمّدت بالدم؛ انصهر المجاهدون والمقاومون فيها بعيداً عن انقسام الساسة والتنظيمات، وأعطت درساً صارخاً مفاده أن البندقية النظيفة التي تتوجه إلى صدر المحتل هي الطريق الوحيد والأوحد للوحدة الحقيقية.

وهذه الفصائل الواعية المدركة لخطها ومسارها تعلم علم اليقين أن طهارة السلاح التي جاءت بهذا الصمود وهذه التضحيات وهذا الانتصار بفشل تحقيق أهداف العدو، والتي رفعت القضية الفلسطينية برمّتها في كل العالم، تدرك أن النصر على التآمر ضدها من قبل القريب سلاحُه الوعي والصبر والحكمة وحرمة الدم الفلسطيني مهما كانت الظروف، خاصة أن ما قامت به هذه الفصائل المقاومة لامس وجدان الشعب والأمة وأحرار العالم، وقسم كبير من أعضاء الأجهزة الأمنية سالت دموعهم عندما كانوا داخل ثكناتهم والمخيّم يتعرّض للقصف، حتى إن قادة كباراً في هذه الأجهزة أسرّوا إلى بعض المناضلين أنهم يدركون ويؤمنون بأن درب المقاومة المسلحة هو الطريق الأسلم للتعامل مع الاحتلال، وبعض الأجهزة الأمنية قد فتحت مقراتها لأهالي مخيم جنين الذين أجبروا على النزوح أثناء معركة «بأس جنين».

الخلاصة: على ضوء ما تقدّم، يمكن القول إن نصر جنين ومخيّمها بالصمود والتحدي الرائع أمام آلة البطش الصهيونية ليس يتيماً، ولن يكون يتيماً، وإن من تسوّل له نفسه الخبيثة أن بالإمكان وأد هذه الظاهرة الثورية الشبابية الواعدة، والتآمر عليها لشد الحالة الفلسطينية وإعادتها إلى سراب التسويات، فهو واهم ومشتبه، وأن المقاومة، بوعيها وحضورها، قادرة على هزيمة مثل هذه المشاريع دون إراقة أي نقطة دم بين الفلسطينيين، لأن جنين ومخيّمها لم يعودا كيلومتراً واحداً فقط، بل شعاع تاريخ، وامتداد شعور جغرافي بمساحة دول وقوى المحور المقاوم مجتمعة.

أصيب بجراح خطيرة، وعم شهيد من شهداء المعركة الأخيرة ومعه شخص آخر من المخيّم، لاتهامهم بأنهم وراء التحريض على طرد وفد مركزية «فتح» أثناء تشييع جنائزي الشهداء في الخامس من الجاري. تبعتها اعتقالات في جبع وبيت لحم ومخيّم عسكر والخليل، بالإضافة إلى التسريبات التي

مجدي عرعراوي يظفر بالشهادتين

جنين - **حنين أمين الزرعيني**

هنا مخيم جنين. هذا يعني الرجولة والإبداع والقصص المثيرة التي تخلّلها الشهادة والتضحيات. مجدي يونس عرعراوي، شابٌ لم يتجاوز من العمر ثمانية عشر ربيعاً، يتيم الأب، كان له مع هذا العام قصة أخذت من اسمه الكثير، وتكلّلت في نهايتها بالشهادة الحاضرة بقوة بميدان المقاومة.

بداية هذا العام، اعتقل مجدي على يد سلطات الاحتلال، وأمضى في الأسر ثلاثة أشهر، ودفع غرامة باهظة، ثم أفرج عنه، وحمل في أيامه التي تلت الاعتقال حملين ثقيلين؛ الأول التحضير لامتحان الثانوية العامة التوجيهي، والثاني الانتماء إلى «كتيبة جنين» ووحدة العبوات اليدوية الصنع/ محور حارة الدمج».

مضى في كلتا المهمتين شعلة إصرار وتفاؤل وعمل. تجاوز امتحانات الثانوية العامة، ولم يغفل خلالها عن مشاركة رفاقه أبطال المخيم في مقاومة اقتحامات المخيم من قبل قوات الاحتلال، وخاض أكثر من مواجهة وهو يحمل على ظهره حقيبة «الأكواع» ذهاباً وإياباً على امتداد حواري المخيم، حتى جاء يوم الثالث من تموز الحالي. بدأ القصف الجوي الممهد للمعركة ليلاً، جاء مجدي إلى حيث مكمن العبوات، أخذ ما يمكن حمله وزاد عليها بواحدة ثقلية وكبيرة حملها على عاتقه، كان متعجلاً، ثم ذاب ورفاقه في أزقة المخيم ينتظرون العدو.

على أطراف حيّ الدمج، هو ورفيق له، وأحمد العامر وعلي الغول وآخرون، حاولت الجرافة التي دمرت الشارع القريب من حارة الدمج التقدّم، فعالجها أحدهم بعبوة كبيرة، وقام الآخرون بإمطارها بالأكواع، بينما انبرى أحمد إلى رشقها بالرصاص. لم يكن علي يعلم أن القناص الجالس إلى جانب سائق الجرافة العسكرية يترصدهم، أصاب علي إصابة قاتلة فاستشهد.

تقدّم مجدي ليلقي عبوة ويسحب علي من أرض المعركة، فأصيب هو الآخر إصابة قاتلة. تقدّم رفيقه، حاول سحبه تحت وابل من رصاص القنص من كل مكان، فأصيب برصاصة اخترقت مقدمة رأسه وأفقدته البصر وخرجت منه لتصيب مجدي حيث اخترقت رقبته. نزع رفيقه قميصه وحاول تغطية رقبة مجدي التي تنزف بغزارة. تقدّم أحمد تحت تغطية نارية لسحب المرتقين فارتقى هو أيضاً. أصبحوا ثلاثة شهداء، علي ومجدي وأحمد، وجريح مصاب بجراح خطيرة، وجميعهم من يحملون على جباههم وسم «الكتيبة» اليوم. ظهرت نتائج الثانوية العامة، لقد نجح فيها أيضاً مجدي بمعدل 90,4 في الفرع الصناعي. نعم، كانت هناك بعض الدموع المرّة على هذا الخبر، لكن أنّه المكلومة ذهبت إلى قبره منذ الصباح تبارك له النجاح والتفوّق في الشهادتين.

البلاد

جنين بمواجهة الإبادة الجماعية

نهلة عبدو*

لم تكن الهجمة الصهيونية على جنين في الثالث من تموز 2023 الأولى من نوعها ولن تكون الأخيرة. فسياسة الإبادة الجماعية (Genocide) لنظام الاستعمار الإحلالي الصهيوني، والتي بدأت قبل قيام النظام/الدولة، لم تنتهِ بعد قيام الدولة ولا يتوقّع أن تنتهي ما دامت الإيديولوجية الصهيونية المؤسّسة والمحرّكة لهذا الكيان.

لقد خضع الشعب الفلسطيني بشبابه (وصباياه)، أطفاله وكهوله، لعمليات إبادة على الصعد كافة: الاقتصادي، السياسي، الثقافي والاجتماعي، منذ نشوء الحركة الصهيونية. فقد كانت سرقة الأراضي وهدم البيوت وإفقار الفلاحين، العنوان الأبرز لحركة الاستعمار الإحلالي، وبمباركة من الاستعمار البريطاني الذي لم يألُ جهداً في تقديم كل ما يساعد الحركة من الاستيلاء على الأرض الفلسطينية. فمن ناحية، فرضت حكومة الاستعمار ضرائب باهظة على الفلاحين، وتبعتها سياسة السجن لمن يتخلّف، ما أدّى بدولة الاستعمار البريطاني إلى السيطرة على أجزاء وافرة من الأراضي وعرضها بالمزاد العلني وتحويلها إلى ملك للصهيونية (أو اليهود الغربيين). تتابع سير هذه العملية إلى أن وصل إلى ذروة الإبادة الجماعية فيما اصطلحنا على تسميته بالنكبة. ولكنّ مصطلح «النكبة» الذي يستعمله معظم الكتاب والأكاديميين، وحتى السياسيين، لم يكن حدثاً تاريخياً عابراً، بل كان ركناً واحداً، بل أساسياً، في عملية الإبادة الجماعية في فلسطين. ولكن، مع إشعار الفلسطيني بعقدة الهولوكوست اليهودية التي تسبّبت بها الدول الغربية، والتي عُمّمت من الغرب، وبالذات من خلال الحركة الصهيونية، بأنها أول وأهم إبادة جماعية في التاريخ، وترافقت مع حملة إعلامية ضخمة تجرّم كل من ينتقد أو يحاول أن يجادل في هذه المسألة. ولقد ذهب الكثير من الكتاب الغربيين، ومنهم يهود وسكان أصليون، ضحية لهذا الصلف الصهيوني. فعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر الكاتب اليهودي الشهير نورمان فينكلشطاين، وعلى قدر ما التاريخي إلى بابه، وكذلك وورد تشرشل من السكان الأصليين في أميركا، والذي كان لكتابه «القليل من الإبادة الجماعية» - Genocide - A little Matter – الذي ناقش فيه سياسة الأميركتين في الإبادة الجماعية للسكان الأصليين الذين قُدّر عددهم بما يفوق المئة مليون إنسان وسبقت الهولوكوست بكثير - فقد اتّهم تشرشل بالعداء للسامية وبتزوير الحقائق ووُضعت أمامه الكثير من العوائق والعراقيل وتمّ تشويه سمعته.

يرفض الصهيوني أي مقارنة مع ما حل باليهود ويعتبر الهولوكوست أو الإبادة الجماعية جرماً خاصاً وفريداً من نوعه اقترف بحق اليهود فقط. ولكن، وللأمانة العلمية، والأهم الإنسانية والأخلاقية، فقد اتضح أن الهولوكوست لم تكن أول فاجعة إنسانية ولم تكن آخرها. فالتعريف العلمي للإبادة الجماعية حسب اليهودي رفائيل ليمكن (Raphael Lemkin) والذي تبنت الأمم المتحدة معظمه، يشمل ويعبّر عن حالات وشعوب كثيرة مورست الإبادة الجماعية بحقها، ماضياً وحاضراً ولا تزال. وبجرد سريع لأهم مبادئ الإبادة الجماعية حسب ليمكن نذكر التالي:

1- الإبادة الجماعية لا تعني القضاء الكلي على الشعب أو المجموعة الإثنية أو العنصر، بل القضاء على بعض من سكانه.

2- التسبب بأذى جسماني أو عقلي لبعض الأفراد.

3- إلحاق أضرار بالمجموعة التي من الممكن أن تسبب دمار المجموعة جزئياً أو كلياً.

4- تعمّد إلحاق الأذى أو خلق شروط تمكّنها من القضاء على المجموعة كلياً أو جزئياً.

5- فرض سياسات أو قياسات تهدف إلى عرقلة إعادة الإنتاج البشري من خلال استعمال حبوب أو كيماويات تعرقل أو تمنع المرأة من الحمل.

وأخيراً، إرغام أطفال من السكان الأصليين على ترك أهاتهم وعائلاتهم وإرغامهم على العيش لدى عائلات أوروبية بيضاء. والأخيرة هي صهر السكان الأصليين في المجتمع الاستعماري الغربي (1).

لم تكن عملية جنين، كما أدّعت سلطات الكيان، تهدف إلى التخلّص من «المخرّبين» او المقاومين، وإلا لماذا تجريف الشوارع وهدم البيوت وتشريد آلاف المواطنين

لا يختلف اثنان من الأكاديميين الفلسطينيين وغيرهم، وبالذات أولئك الذين يتخذون التحليل الماركسي، وبالذات نظرية ماركس حول ما يسمى بالظروف الأساسية أو المبدئية لتطور الرأسمالية (The So-Called Primitive Accumulation)، أو مصطلح الاستعمار (imperialism) لروزا لوكسمبورغ، حيث إن المصطلحين يركزان على دور العنف والقوة المستعملة من الدولة الرأسمالية الاستعمارية ضد الشعب المستعمر، ولكنّ مستبعد من هذا التصريح أولئك الأكاديميون الذين يتخذون الاستعمار الإحلالي والأصلانية إطاراً لتحليلاتهم، كالمفكر باتريك وولف ولورنزو فيراشيني ومارتن شو، وغيرهم... بأن النكبة هي تجسيد للإبادة الجماعية الفلسطينية. وأن هذه الإبادة ليست بحدث تاريخي عابر، بل هي فكر وممارسة ملازمان للفكر الصهيوني الاستعماري والمبني على اقتلاع الشعب الأصلاني. وبالرغم من التعريف العلمي للإبادة الجماعية، والذي لا يشك اثنان في ملاءمته لما آل إليه الشعب الفلسطيني وما زال يرضخ تحته، لكن وإلى الآن يمتنع الكاتب/ة العربي/ة والفلسطيني/ة عن استخدام مصطلح الإبادة الجماعية، بدلاً من النكبة، خوفاً من ردة الفعل الصهيونية والغربية.

فمن المهم التذكير هنا بأن الهجمة الصهيونية الأخيرة على جنين وتخريب وتجريف شوارع المخيم وهدم البيوت وتشريد الشعب واغتيال مقاومين، لم تكن إلا واحدة من عمليات الإبادة الجماعية. فالمقاومة الفلسطينية تذكّر الدولة الصهيونية بحقيقتها الاستعمارية والإحلالية والمغتصبة لفلسطين وشعبها. كلّنا نتذكّر المجازر الرهيبة والمتعددة لمئات القرى الفلسطينية وتشريد أهاليها وسلب أراضيهم وسرقة أملاكهم من نقود وأثاث وكل ما في بيوتهم. ففي السنوات القليلة الماضية نشر المؤرخ اليهودي آدم راز (Adam Raz) مجموعة مقالات وكتب وثّق فيها عمليات النهب والسرقة الممنهجة لبيوت وأملاك الفلسطينيين الذين شُردوا من أراضيهم وبيوتهم(2).

لم تكن مئات المجازر التي اقترفت بحق الفلسطينيين قبل قيام الدولة وبعدها مجرد عمليات عابرة أو بلا قصد، بل جميعها كانت متعمّدة، مقصودة ومخطّطاً لها من القيادة الصهيونية العليا، وكانت جزءاً لا يتجزأ من مخطط الإبادة الجماعية للفلسطينيين، وقضية التعمّد والقصد تُعد أساسية لتعريف الإبادة الجماعية. فعلى سبيل المثال، لم تكن مجزرة دير ياسين، مع فظاعتها، الأفظع أو الأكبر، بل بالمقارنة يمكننا القول إن مجزرة الدوايمة (القريبة من الخليل) كانت بالرهبة والفظاعة نفسيهما إن لم تفقهما شراسة وعنفاً، حيث راح ضحيتها المئات من الأطفال والنساء والكهول. القضية المهمة هنا ان الدولة المستعمرة، وبقرار من المؤسسة العسكرية والأمنية والسياسية، عملت جل جهودها، من خلال الكذب والرياء والتضليل، إلى التعتيم وإخفاء الحقائق. والفرق الأهم هو أن مجزرة الدوايمة، وكذلك مجزرة كفر قاسم، كما سنفصّل قريباً، لم تُقترف من خلال منظمات صهيونية إرهابية خارجة عن أنظار الدولة كما الحال في دير ياسين، بل من صهاينة جنود جزء من الجيش النظامي (29 تشرين الأول عام 1948)، أي تحت مرأى ومسمع وبموافقة ضمنية أو علنية من الدولة. وهذه، كما كثير غيرها، تندرج تحت الجريمة المنظّمة التي يعاقب عليها القانون الدولي، وبالذات البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة، ولكن، وللأسف، بقي هذا الجزء من الإبادة الجماعية طي الكتمان لعشرات السنين.

الحقيقة هي أن كل المجازر الصهيونية ضد الفلسطينيين وغيرهم من العرب كانت مخطّطة ومتعمّدة من قبل الصهيونية، حركة كانت أو دولة.

في السنوات الأخيرة، أماط المؤرخ آدم راز اللثام عن الغاية من مجزرة كفر قاسم سنة 1956 (في المثلث) والتي راح ضحيتها حوالي خمسين امرأة، وأطفال وشبان وكهول. وأكّد، بعد الكشف والتمحيص في الوثائق الصهيونية حول هذه المجزرة، أن هدفها كان تهجير أهل المثلث إلى الأردن. ومن المهم ذكره أن القيادة الصهيونية، وبشخص بن غوريون، كانت تخطط في معركة السويس لإدخال الأردن الحرب، ما قد يسهل طرد أهل المثلث إلى الأردن. ولكن شاء القدر وانتهت حرب السويس بتدخل الاتحاد السوفياتي وبدون أن يدخل الأردن وفشلت عملية التهجير تلك.

وحسب آدم راز، وبالرغم من السرية الكبيرة التي اكتنفت هذه العملية، إلا أن شادمي (shadmi) قائد المنطقة المحلية الذي لبس العملية وأمر بن غوريون بتقديمه للمحاكمة، أقر بأن المحكمة كانت صورية والهدف منها هو تبرئة صورة الكيان والقيادة العليا من هذه الجريمة المخطّطة والمبرمجة(3). وعلى سؤال «ماذا أرادوا من شادمي؟»، أجاب راز: «أرادو ألا يكشف الحقيقة. وأن الحقيقة هي أن الخطة التي تدرّب عليها الجنود والضباط، والتي وُضعت للتنفيذ، هي، وبشكل كبير، العملية التجسسية والمعروفة باسم (operation mole)، التي كانت تهدف إلى اقتلاع أهالي المثلث وترحيلهم إلى الأردن في حالة نشوب حرب» (4).

وكما في معظم الجرائم والمجازر المخطّطة التي هي جزء من المخطط الكبير لاقتلاع الفلسطينيين من أراضيهم وأملاكهم وبيوتهم، كانت الدولة تكذب وتفبرك الحقائق وتضلل لكيلا تكشف جرائمها وتثبت كذبة ديموقراطيتها. إذ كما أقر راز، لم تكن هذه المجزرة بمنأى عن القيادة المركزية كبن غوريون وموشي ديان.

ومن هنا لم تكن عملية جنين، كما ادّعت سلطات الكيان، تهدف إلى التخلّص من «المخربين» او المقاومين، وإلا لماذا تجريف الشوارع وهدم البيوت وتشريد آلاف المواطنين – الذين بالمناسبة عادوا جميعاً إلى بيوتهم القائمة منها والمهدّمة. فالمقاومة الفلسطينية لدولة الاستعمار الإحلالي لم تكن مقصورة على بعض الأفراد هنا وهناك، بل هي مقاومة شاملة وشعبية في كل مكان في فلسطين، وهي مقاومة تاريخية منذ نشوء الحركة الصهيونية، بلتفّ حولها معظم الشعب الفلسطيني إن لم يكن كله. ومن هنا أصبح من الصعب، وإن لم يكن مستحيلاً، لدولة الاستعمار أن تنجح في اقتضاء على الشعب الفلسطيني. فمن الممكن أن تعيد هذه الدولة الكرّة، لكن وفي كل مرة ستجد أمامها مقاومين أشدّاء يعتنقون مبدأ الشرف والكرامة والتضحية من أجل الوطن... أخلاقيات مفقودة لدى الكولونيالي المستعمر الذي أصبح يهاب الولوج في مواجهات مباشرة مع الفلسطينيين. وبكلمات أخرى، أفشلت المقاومة الفلسطينية، ومعها حلفاؤها من حلف المقاومة، خطط الدولة الصهيونية، ووضعت الأخيرة في مأزق وجودي سيصعب عليها الانفكاك منه.

* أستاذة علم الاجتماع في «جامعة كارلتون» - كندا

(1) See, Raphael Lemkin: Axis Rule in Occupied Europe: Laws of Occupation, Analysis of Government, Proposals for Redress (Foundations of the Laws of War). 2008.

(2) Adam Raz, Looting the Arab Property during the war of independence (Hebrew 2022) https://www.palestine-studies.org/en/node/1651218

(3) See 'Historian Adam Raz believes that behind the horrific 1956 event was a secret plan to transfer Israel's Arabs. October 15, 2018', Haaretz.

(4) See above.

عن اليسار الفلسطيني والتعويم المحجف كـ«ظاهرة فايسبوكية»

وسام رفيدي

وفّرت شبكات التواصل الاجتماعي، وخاصة «فايسبوك» و«تويتر»، فرصة نادرة لكل مَنْ يريد التعبير عن موقفه، باستثناء طبعاً مَنْ لا ترغب الحركة الصهيونية بسماعه، فينصاع عبيدهم القائمون عليها، ويبدأ الشطب. ومع ذلك بقيت تلك الشبكات مساحة واسعة للتعبير، إلى حد يتطلب أحياناً قدرة هائلة على التحمّل والصبر لقراءة ما يُكتب لتدني مستواه، بل أحياناً لصبيانيته. لعل من أكثر ما أقرأه كنماذج على ما ذهبت إليه هو تلك التعليقات المستمرة على اليسار، هكذا (اليسار) بشكل عام، ومواقفه ونضالاته وحضوره.

أثناء معركة «ثأر الأحرار»، ثأراً للشهداء القادة من «الجهاد الإسلامي»، أعلنت «كتائب الشهيد أبو علي مصطفى»، ونقلت عنها وسائل الإعلام المختلفة، مشاركتها في القتال ضد العدو الصهيوني بإطلاق الصواريخ نحو المستعمرات، ولاحقاً زفّت الكتائب لشعبها استشهاد 5 مقاتلين من وحدة الصواريخ على شرف الدفاع عن شعبها. وحتى في ظل هذا الوضع، وُجد مَنْ يعلق على «فايسبوك» بجمل من نوع «وين اليسار؟ انتهى اليسار؟ اليسار سحيح لأوسلو....» إلى آخره من تلك التعبيرات الإطلاقية التي لا تميز بين يسار مقاتل و«يسار» ارتهن لسلطة أوسلو منذ زمن. تعبيرات يبدو كاتبها في أحسن الأحوال لا يعرف شيئاً عما يدور على جبهة الصراع، وإن عرف وكتب ما كتب فوراء الأكمة ما وراءها.

ليست تلك بظاهرة جديدة على أيّ حال، فمنذ التراجع الذي وصل إلى حد انهيار بعض الفصائل المحسوبة على اليسار ما بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وتوقيع اتفاقيات أوسلو، وحتى يومنا هذا، كُتب وما زال يُكتب العديد العديد من المقالات والدراسات والكتب حول أزمة اليسار، وكعادة الأمور، بعض ما كُتب يتميز بموضوعية وعلمية صارمة لا تعرف المجاملة عند الحقيقة مع انحياز لفكر اليسار وحرص على مستقبله، وبعضه بائس لا يستحق الالتفات إليه، سواء لسطحيته وافتقاره للمعطيات، أو لعدائيته بفعل منطلقاته الدينية واليمينية. وقد وصلت الأمور إلى حد تنظيم مؤتمر لمناقشة أزمة اليسار قبل سنوات بتمويل مؤسسة أجنبية غير حكومية، هي مؤسسة روزا لوكسيمبورغ الألمانية، شارك فيه العديد من القادة اليساريين، في تطور لافت على مستوى التدهور، بحيث يبحث اليسار أزمته بتمويل غربي.

إشكاليات عديدة تطاول النقد اليومي الموجه إلى «اليسار» والبعيد عن الموضوعية والحصافة العلمية، وأولى تلك الإشكاليات وضع قوى عديدة ضمن «اليسار» ضمن تصنيف تعويمي واحد وأوحد: اليسار دون تمييز يقتضيه لا البرنامج فحسب، بل الممارسة من جهة، وحقيقة الموقع من الاشتباك مع العدو الصهيوني من جهة ثانية.

أولاً: على صعيد البرنامج

وما نعنيه هنا هو المفصلان الرئيسيان في القضية الوطنية الفلسطينية، أولهما، الموقف من المشروع الصهيوني في فلسطين، وتالياً الموقف من دولة هذا المشروع، وثانيهما الموقف من هدف الشعب الفلسطيني من نضاله.

ليس سراً أن برنامج العديد من القوى والفصائل المصنّفة «يسارية» تقر بمشروعية المشروع الصهيوني في فلسطين انطلاقاً من «تحليل» ماركسي مزعوم حول حق اليهود بتقرير المصير. كما درجت أدبيات الشيوعيين الفلسطينيين، وتحديداً من هم داخل منطقة 48، علماً أن لينين كان سجّل الموقف الماركسي برفضه المطلق لفكرة تقرير المصير لليهود كفكرة رجعية، وعلماً أيضاً أن الوثائق التاريخية والبحث المتأني يؤكدان حقيقة أن هذا «التحليل» ليس سوى تغطية على التبعية للموقف السوفياتي في عام 1947 من قرار التقسيم، ولاحقاً من الاعتراف بالكيان الصهيوني «كدولة تقدّمية» كما وصفها غروميكو وزير الخارجية السوفياتي آنذاك. وقبل هذا التحليل وذاك، فإن رفض المشروع الصهيوني ينبع من موقف وطني وقومي، سياسي وأخلاقي، لاغتصاب فلسطين وتشريد أهلها، قبل أن يزكيه التحليل الماركسي الرصين، أمّا فصائل أخرى فسلّمت بالأمر الواقع الذي فرضه أوسلو، ولا تخفي انحيازها لشعار الدولتين بما يتضمنه الاعتراف بالكيان.

وصلت الأمور إلى حد تنظيم مؤتمر لمناقشة أزمة اليسار قبل سنوات بتمويل مؤسسة أجنبية غير حكومية هي مؤسسة روزا لوكسيمبورغ الألمانية

وتلك نقاط خلافية جوهرية ستترك بالتأكيد تأثيرها على تحديد الحدود الواجبة للتصنيف السياسي للقوى، إذ من الصعوبة بمكان، بالنسبة إليّ، وأعتقد إلى قطاعات عديدة، اعتبار الرافض للمشرع الصهيوني في فلسطين بكل تجسيداته على نفس مستوى الحدود التصنيفية مع مَنْ يقر بشرعية الكيان الصهيوني ووجوده على أرض فلسطين ضمن تسويات مقترحة.

لذلك، فالبرنامج في مفصله هذا هام جداً لتحديد التخوم بغرض التصنيف بين قوة وأخرى في إطار ما يُعرف بـ«اليسار»، فيما يبدو التعويم دون تحديد تلك التخوم تمييعاً للفروق الجوهرية بين القوى في أفضل الأحوال، أمّا في أسوئها فهو «رخصة» مجانية لاحتلال موقع يساري دون صلة باليسار. رخصة يحتاج إليها مَنْ ليس له أي موقع ولا أي ثقل في النضال الوطني، فلا بأس بالنسبة إليه بهذا التصنيف الشرف. ويلحق بهذا المفصل المفصل الآخر وهو هدف النضال الوطني، وهنا تختلف تلك الفصائل المصنّفة بين مَنْ يدعو وينا ضل لتحرير فلسطين وإقامة دولة فلسطين الديموقراطية على كامل التراب الوطني، بما يقتضيه هذا من تفكيك كامل لكل تجسيدات المشروع الصهيوني الدولانية والمؤسساتية والديموغرافية، وبين مَنْ تمترس عند شعار اليمين: دولتان لشعبين بما يقتضيه الاعتراف الصريح بالكيان الصهيوني.

وينضاف إلى البرنامج بمفصليه أعلاه الركيزة الإيديولوجية لليسار ونعني الماركسية. لقد جرى تعويم اليسار حتى بات مصطلحاً يفتقد لتلك الركيزة، إذ به يجمع الماركسيين مع الليبراليين، ومَنْ يعتقد نفسه بينهما، في توليفة واحدة.

إنّ تلك القوى والفصائل بالتأكيد يمكنها فعلاً أن تلتقي في الممارسة الميدانية اليومية على قضايا نضال مشترك كالأسرى والاستيطان والدفاع عن حقوق العاملين والفئات الشعبية، ولكن من الخطأ بمكان إعطاؤها تصنيفاً واحداً «اليسار». فالعلاقة الميدانية النضالية شيء، كمبدأ رئيس في العمل والتكتيك السياسي، والحديث عن تحالفات ووحدة منطلقها تصنيف يضم الجميع، شيء آخر، لا يحمل أيّ مقوّمات حقيقية لا سياسية ولا فكرية.

ثانياً: الممارسة الكفاحية

لننكأ الجرح هنا دون مجاملة. ليس كل مَنْ يُصنفون يساريين، هم وتنظيماتهم في اشتباك مع الصهاينة فعلياً، لا في قطاع غزة ولا في الضفة الغربية، وبالتالي لا يتعرضون للملاحقة الاستخبارية والقمع من المحتلين، فيما آخرون يشتبكون في غزة عبر القتال مع كل الفصائل المقاتلة ضد الكيان الصهيوني، ومع المحتلين عبر كل الوسائل في الضفة الغربية. الممارسة بالنسبة إلى اليسار، كفهم نظري، هي المعول لتحويل البرنامج إلى حقيقة سياسية واقعية، أي معول للتغيير، وإلا فلا فائدة لبرنامج نضال إن لم يتعمّد بالممارسة، ويتحمل اليسار بالتالي تبعات تلك الممارسة، ملاحقة وقمعاً وأسراً واستشهاداً.

فهل يستوي هنا الذي يتعمّد نضاله بالدم في القطاع والضفة، مع مَنْ يكتفي بالنضال الإعلامي ومخاطبة الرأي العام، وإذا ابتعد أكثر فالنضال الجماهيري، وفي الحالتين فلا اشتباك مطلقاً لتنظيمه مع المحتل؟

منذ عام 2019 عندما نفّذ محسوبون على «الجبهة الشعبية» عمليتهم الفدائية ضد المستوطنين عند عين بوبين في محافظة رام الله، وامتدادات «الجبهة» في الضفة تتعرّض لملاحقة تكاد تكون شهرية، استدعاءات واتصالات هاتفية تهديدية واعتقالات وتحقيقات دموية وصلت إلى حد نقل المعتقل المناضل سامر العربيد على كرسي متحرك بين غرفة تحقيق وأخرى نتيجة عدم قدرته على الحركة بفعل التعذيب الدموي بحيث شارف على الاستشهاد. حتى في ظرف كهذا، هناك مَنْ كان يكتب في لحظة جرأة صبيانية نادرة «أين هو اليسار؟ انتهى اليسار؟» على صفحات «الفايسبوك»، في عملية تعويم مجحفة حقاً بحيث ضمّ المصطلح مَنْ يستحق فعلاً وصف اليسار لأنه مقاتل، وبين مَنْ يتوجب عليه تصنيف نفسه تصنيفاً آخر احتراماً لمثل وقيم ونضال اليسار.

الأخبار
al-akhbar
السبت 22 تموز 2023 العدد 4967

المفكرة

روزماري شمعون: هل ينكشف «السرّ»؟

■ تفتتح الرسامة روزماري شمعون (1995 ـ الصورة)، الأربعاء المقبل معرضها المنفرد «السرّ» في «غاليري جانين ربيز»، حيث يستمرّ لغاية 11 آب (أغسطس) المقبل. بمزيج من الصلابة والرقة، رسمت شمعون رحلتها الخاصة على طريق استكشاف الفن العميق، متأمّلةً «رحلتها الروحية وطارحةً أسئلة حول الوجود والمادة والروح، وداعيةً الجمهور إلى التفكّر واستكشاف أنفسهم وإيجاد توازن بين العالمين المادّي وغير المادي»، وفق النص التعريفي الخاص بالحدث. إنّها دعوة لاكتشاف ألغاز الحياة خارج الإطار المادي ومحاولة لخلق أسلوب تواصل مبني على «جوهر الروح».

افتتاح معرض «السرّ»: الأربعاء 26 تموز (يوليو) الحالي ـ س: 17:00. «غاليري جانين ربيز» (الروشة ـ بيروت). للاستعلام: 01/868290

عمر أميرالاي مكرّماً في بيروت

■ يدعو «نادي لكلّ الناس»، يومَي الأربعاء والخميس المقبلين، للمشاركة في برنامج تكريمي للمخرج السوري الراحل عمر أميرالاي (1944 ـ 2011/ الصورة)، في «متحف سرسق» (الأشرفية). في اليوم الأوّل، يُعرض وثائقي «عمر أميرالاي: الألم، الزمن، الصمت» (2021)، بحضور مخرجته هالة العبدالله التي اجتهدت لعقد من الزمن في سبيل صناعته تكريماً لصديقها

الذي «أثرى السينما العربية برؤيته المثيرة للجدل حول السينما السياسية» وأنتج أفلاماً وثائقية مستقلة بالإضافة إلى أفلام تسجيلية، منها ما مُنع من العرض. يتبع العرض حوار بين العبدالله والكاتبة نجوى بركات.

يضمّ برنامج اليوم الثاني ثلاثة أفلام قصيرة من إخراج عمر أميرالاي، أوّلها «طبق السردين» (1998) الذي يسجّل فيه أميرالاي جولته بصحبة زميله المخرج السوري محمد ملص في قرية الجولان المدمّرة ويتجوّل بكاميرته حول «سينما الأندلس»، المبنى الوحيد الذي نجا من الدمار الإسرائيلي الذي طال المنطقة.

بعده، سيكون الحاضرون على موعد مع «هناك أشياء لا يمكن أن يتحدث عنها المرء» (1997)، وهو فيلم تسجيلي يتحاور فيه أميرالاي مع المسرحي سعد الله ونوس، قبل فترة قصيرة من وفاة الأخير، متناولاً الصراع العربي الإسرائيلي.

أما الفيلم الأخير، فهو «الدجاج» (1977) الذي يوثّق فيه المخرج ظروف المزارعين في قرية صدد السورية، التي شجعت الحكومة سكّانها على تربية الدجاج وإنتاج البيض بدلاً من ممارسة أنشطتهم التقليدية في صناعة السجاد. الشريط ذو نفس ساخر ويصوّر سياسة دفع المجتمع نحو نمط صناعي ورأسمالي.

«حياة وعمل المخرج السوري الراحل عمر أميرالاي»: الأربعاء 26 والخميس 27 تموز (يوليو) الحالي ـ س: 19:00 ـ «متحف سرسق» (الأشرفية ـ بيروت). للاستعلام: 01202001

مزياق رقم 23: جاز وترانس وارتجال

■ يحتضن «مزيان»، غداً الأحد حفلة موسيقية جديدة بعنوان «مزياق رقم 23»، يحييها غناءً «أبانوب» برفقة العازفين داني شكري (درامز)، طارق

خلقي (إلكترونيات)، خالد عمران (باص) ورائد الخازن (غيتار). الفنانون الذين قدّموا سهرات أسبوعية في الماضي لمدّة سنتين في المكان نفسه، يعودون بسهرة واحدة فقط قوامها مزيج موسيقي من الجاز والترانس، ضمن أجواء لا تخلو من الارتجال، لـ «يسحروا الجمهور ويأسروه في فضاء فنّهم المتميّز»، وفق ما يرد في النصّ التعريفي الخاص بالنشاط.

حفلة «مزياق رقم 23»: غداً الأحد ـ س: 20:30 ـ «مزيان» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 71/293015

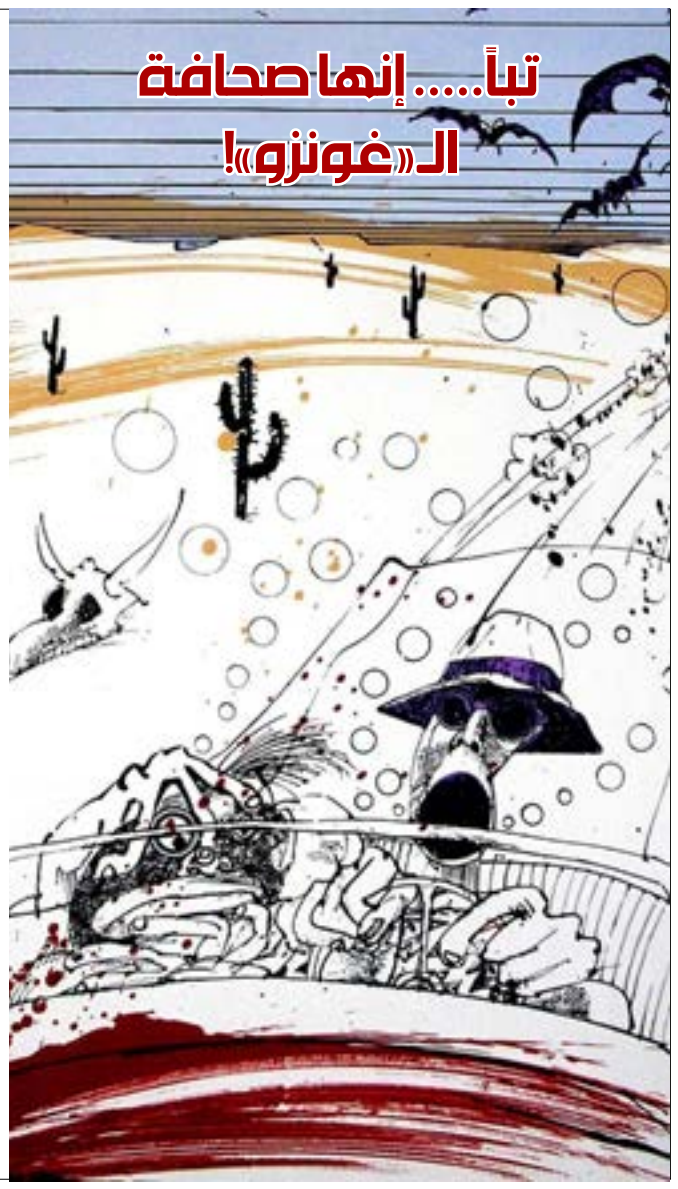

تباً..... إنها صحافة الـ«غونزو»!

بول مخلوف

قبل بضعة أيام مرّت ذكرى ولادة الصحافي والروائي الأميركي هانتر طومسون. بمجرّد أن نردّد اسم الأخير، سيراودنا على الفور مصطلح الـ«غونزو». نتحدث عن نسق كتابي جمع بين أدب الرداءة والعوالم السُفلية والجذرية السياسية التي تعتاش على مقارعة السلطة والسلطويّين. بعد مرور نحو 40 عاماً على ذروة مناخ الـ«غونزو» نقرأ هانتر طومسون اليوم بشكل مماثل لمن قرأه في السبعينيات. هذا يعني أنّ ما كُتب يومها فيه من الرشاقة والنباهة ما يكفي لتبقى تلك المؤلفات والمقالات صالحة وبليغة حتى يومنا هذا. ما هو مؤكّد أيضاً، أننا بشكلٍ أو بآخر، نعيش فصولاً، ولو بدت صغيرة الحجم أو قصيرةَ المدى، مشابهة لتلك التي اختبرها طومسون. صحيح أننا نفتقد المختبر التجريبي (في شتى الميادين) الذي شهدته مرحلة أواخر الستينيات وبداية السبعينيات، ولكننا بالرغم من ذلك، شهود على عصر منحلّ متشرذم لا يرى إلا من داخل فقاعته. حتى إنه وإذا ما قررنا مقارنة مرحلتنا مع مرحلة طومسون، فإن ما نفتقده على وجه التحديد، هو تحديداً ما يجعلنا نعتزم القبض عليه، وبما أننا غير قادرين على ذلك، فيتوجّب علينا، أقلّه، الإضاءة على: لغة كتابية ناجزة حملت صوتها الصادح الخاص.

نعود إلى صحافة «الغونزو» ونترك وراءنا كلّ كلاسيكيات الكتابة؛ الأنساق المعلّبة في الصحافة والرتابة الإنشائية في الأدب. نقرأ بل نستكشف كيف تكون الصحافة مجرّدة من دورها كـ«وظيفة». مع هانتر طومسون نتخلّى عن المقالة القصيرة، من المقالة السهلة، نتخلى عن القصة الصحافية المخلصة لمعطياتها ومراجعها ولكل الهراء الذي يزعم «الموضوعية». نتخلى عن الكلمات التي من شأنها أن تكون بمثابة غشاوة، تلك الكلمات التي تقول ولا تقول، وإذا قالت حرّفت وأضاعت المسار، لنأخذ عوضاً بدلاً عنها، مفردات المعيش، وقصص الراهن والخيال الخائف ورؤية للعالم ضمن منظار «اليومي» بكل تخبّطه وفوضويته.

مع هانتر طومسون، ورالف ستيدمان، وفي «الغونزو» عموماً، نرى الواقع على ما هو عليه. كلّ المبالغات جمالية كانت أم شاعرية هي ضرورات لازمة؛ ذلك لجعل الحقيقة تبدو أكثر حقيقية. وإذا بدا مدلول «غونزو» أنه مجرّد تهويمات تفوح منه رائحة القباحة والذعر، فهذا يعود إلى طبيعة الصحافة الأدبية ومدى تماهيها مع الحياة نفسها، أو لنقل: مدى انعكاس الحياة نفسها فيها، أليست المرآة سوى السطح العاكس للسائل؟ من هنا يبدو لنا سرّ «غونزو»، هو: الاضطراب والتشوّش، المشاكسة والرفض والعنف الذي يفرض نفسه مقابل الارتعاش... لكن لا داعي للولولة، فهذه حصيلة «الحلم الأميركي» أو أقلّه، نتيجته (الكافكاوية) البديهية. نقرأ في هذا العدد من «إنّما» أجمل قصة خلّفها «الحلم الأميركي»، عن صحافة الغونزو، الصحافة الأدبية التي كشطت الزيف عن هذا الحلم وصورت لنا أروقته الكابوسية.

لقراءة ملحق «إنما»

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار al-akhbar

السبت 22 تموز 2023
العدد 4967 السنة السابعة عشرة
Samedi 22 Juillet 2023 nº 4967 17ème année

كلمات

ملحق أسبوعي

www.al-akhbar.com

بورتريه هاروكي موراكامي (اولكسي غنيفشيف ـ المانيا ـ زيت على كانفاس ـ 2020)

هاروكي موراكامي
يهدم أسوار المدينة الغامضة

خليل صويلح

لا يشبه هاروكي موراكامي (1949) أقرانه من الروائيين اليابانيين، لجهة تبجيل تقاليد هذا الأرخبيل العجائبي والغرق في مياهه، فهو سليل الحداثة الغربية في المقام الأول. شخصياته تعيش عزلة الأبراج المعدنية والمصاعد وأسى اللحظة الراهنة. على الأرجح لن ينتهي منتحراً، كما فعل يوكوميشيما (1970)، أو ياسوناري كاواباتا (1972)، فههنا فرصة للتأمل والحلم والتجربة. صحيح أن صاحب «كافكا على الشاطئ» أتى إلى حقل الكتابة بالمصادفة، إلا أنه انخرط لاحقاً بجديّة وشغف في تأصيل تجربته، عملاً وراء آخر، مخترقاً حدود بلاده إلى نحو 50 لغة عالمية. هناك كيمياء غريبة في بناء عمارته الروائية التي قد لا يستسيغها بعضهم لفرط سيولتها وسرياليتها ولا مركزية أحداثها، فيما سيقف آخرون في طوابير طويلة أمام المكتبات فور صدور رواية جديدة له للحصول على نسخة بتوقيعه. عزلة كوفيد 19 أحالته إلى قصة كتبها قبل 40 عاماً، فعمل على تطويرها بما يتلاءم مع مجاز العزلة القسرية والتخفي وراء الجدران. وإذا به يكتشف تدريجاً، أن العالم يتجه إلى مزيد من إقامة الأسوار، بدلاً من ردمها فيما تتراجع قيم الحرية تحت وطأة التحولات التي طرأت على الكوكب، معرّجاً على الحرب الروسية الأوكرانية التي زعزعت الخرائط فجأة، فبطل العمل يعيش محنة تتأرجح بين خيارين «مدينة مسورة معزولة يسودها الهدوء بلا رغبة أو معاناة، والعالم الحقيقي الذي يكمن وراء الجدران بكل ما يحمله من ألم ورغبة وتناقضات». لحظة انهيار روحي تقابلها جدران كتيمة. خوف وشكوك بدلاً من الأمان والثقافات المتبادلة، غزوات وحروب وعسكرة. مثل هذه المفردات، وفقاً لقناعة هاروكي موراكامي، لا أحد يمكنه تفكيك جذورها بعمق سوى الروائيين. في روايته الجديدة «المدينة وأسوارها الغامضة» التي من المفترض أن تصدر في العام المقبل، في أكثر من لغة عالمية، يشتبك مع أسئلة العزلة، وحمّى الجدران التي أطاحت الشراكة الإنسانية بعنف: «يتغيّر الهدف من السور والشكل الذي يتخذه اعتماداً على الشخصيات الموجودة حوله، كما يتغيّر معناه في رواياتي» يقول. على المقلب الآخر، سنتعرّف في كتابه الجديد «مهنة الروائي» إلى مفهومه للكتابة، وأهمية القراءة في تطوير حرفة الروائي، شرط أن تمتلك عينين وأنفاً في اكتشاف بريق المعدن وسط الركام، عن طريق الملاحظة الدقيقة، وتدوين هذه الملاحظات بمفكرة أو تخزينها في الذاكرة «وبذلك كل ما يجب أن يغيب يغيب وكل ما يجب أن يبقى يبقى».

بالطبع سيلتفت صاحب «جنوب الحدود غرب الشمس» إلى أهمية الجري في حياته (سبق أن أصدر كتاباً في هذا السياق بعنوان «حين أتحدّث عن الجري»)، فهو يمارس رياضة الجري يومياً كنوع من اللياقة الجسدية والتخييلية، الأمر الذي خلق إيقاعاً سردياً خاصاً به لجهة التركيز والانضباط ووضوح الفكرة: «ليس عليك أن تدرس في كلية الآداب في الجامعة حتى تصبح روائياً، لأنه لا وجود فعلياً علم متخصص في كتابة الروايات» يقول.

ولكن ماذا بخصوص الجري عكساً فوق سجادة المسودة؟ سيُخضع مسوّدة الرواية إلى تعديلات كثيرة استجابة لملاحظات المحررين التي تثير السخط، كمن يصقل قطعة من الخزف قبل ذهابها إلى الفرن. ما يبقى من غبار المعركة متعة الروائي في ابتكار حيوات موازية قابلة للعيش. «مهنة الروائي» سيرة استثنائية عن رجل كان يدير حانة، ويستمع إلى موسيقى الجاز، ويشاهد مباريات البيسبول، وفجأة يقرّر أن يكتب رواية، ثم ستتغيّر حياته رأساً على عقب.

حوار

صدور أعماله الكاملة قريباً

آدم فتحي: متى يتحرّر الشاعر العربي من أوثانه؟

يمثّل آدم فتحي (1957) تجربة استثنائية في المشهد الشعري التونسي في غزارة إنتاجه وتنوّعه بين الكتابة بالعامية والعربية الفصحى والكتابة للاغنية التي تمثّل مكوّنًا اساسيًا في مساره الادبي منذ بداية ظهوره في اواخر سبعينيات القرن الماضي عندماكان ملازمًا للمجموعات الموسيقية التي كانت تسمّى بمجموعات الموسيقى البديلة التي أسّست للثقافة المستقلة وكانت تقدّم عروضها بمرافقة ادم فتحي في الفضاءات الجامعية والنقابية بعيدًا من الفضاءات الثقافية الرسمية. رافق آدم فتحي التيارات اليسارية في الجامعة. وساندها كما ساند التحرّكات النقابية مع مجموعات «البحث الموسيقي» و«الحمائم البيض». والشيخ امام الذي كتب له اجمل الاغاني. قبل ان يلتقي بالفنان لطفي بوشناق في عام 1990 الذي كتب له معظم اعماله واشهرها. على مدى نصف قرن. راكم ادم فتحي تجربة شعرية لافتة وتوالت اعماله منذ عام 1982 مع «سبعة اقمار لحارسة القلعة» و«حكاية خضراء والامير عدوان» و«اغنية النقابي الفصيح». و«اناشيد لزهرة الصبار» و«المعلقة» و«نافخ الزجاج الاعمى». وبالتوازي مع هذه المسيرة الشعرية. أنجز العديد من الترجمات لشارل بودلير واميل سيوران وغيرهما. وقد صدرت هذه الترجمات عن «منشورات الجمل» في بيروت. لم يغب كذلك عن الكتابة في الصحافة التونسية منذ بداية الثمانينيات في صحف «الراي» و«الموقف» و«الايام» و«الشروق». إلى جانب مساهماته في الإنتاج التلفزيوني والإذاعي عبر برامج ثقافية اعتنت بالادب والثقافة عمومًا. آدم فتحي الذي ينأى بنفسه عادةً عن المشهد الثقافي في تونس. قليل الظهور ايضًا في وسائل الإعلام وقليل المشاركة في المهرجانات الادبية التي كثيرًا ما يغيب عنها الادب. نجد في نحت مسيرة شعرية وادبية لافتة وفريدة سواء في جيله او في من سبقوه. ما جعله يحظى بتقدير اعتباري من الاجيال الجديدة في تونس. وقد عاش دائمًا مستقلاً بعيدًا عن السلطة لإيمانه بان الادب والموقف الثقافي هما السلطة الحقيقية. في هذا الحوار يتحدّث عن رؤيته الى الشعر والكتابة ومسيرته الادبية

تقديم وحوار **نور الدين بالطيب**

■ على مدى نحو خمسين عاماً من الشعر والحضور في المشهد الأدبي، لم تنشر من الكتب في الشعر، إلا ثلاثة أعمال فقط. لماذا هذا «التعفّف» عن نشر الشعر؟

ـ لندقّق في بعض المعلومات. دخلتُ ساحة النشر عام 1982 بكتاب «سبعة اقمار لحارسة القلعة». ثمّ دأبتُ على محاولة النشر بمعدّل كتاب كلّ سنتين. بعضُ هذه الكتب خُجِلَ بعد النشر. بعضُها مُنِع من النشر في المطبعة. بعضها ضاع في غرف الفنادق أو مع ضياع الحاسوب، ونحن نتسلّل من الغرف أو الشُقَق هرباً من البوليس أو الدائنين. لكنّ المنع من النشر أو الحجز بعد النشر، لم يمنع هذه الأعمال من الوصول إلى القرّاء بأكثر من طريقة. أعدتُ كتابة بعضها. نسخْتُ بعضها صحبة الأصدقاء. القيتُ بعضها في الأمسيات وتمّ توثيقها عن طريق الكاسيت والفيديو. نشرتُ نصوصاً كثيرة منها داخل تونس وخارجها من دون أن أنسى دَوْر الأغنية في إيصال الكثير من النصوص. كما أنّ الترجمة من جهة وكتابة المقالة من الجهة الأخرى، كانتا في خدمة الشاعر أساساً. هكذا ترسّخت التجربة الشعريّة في ذاكرة كثيرين. وثمّة إعدادٌ لنشر هذه الكتب في صيغة أعمال شعريّة كاملة تصدر قريباً. ولا أعتقد أنّ هذا العدد (أكثر من عشرين كتاباً حتى اليوم) يسمح باعتباري «مُقِلاً» في النشر أو «متعفّفاً» عنه!

■ ما تفسيرك إذن؟

ـ لم أول مسألة النشر من عدمه اهتماماً أكبر ممّا ينبغي. لم أنظر إلى عدد الكتب كغاية. لم أعتبر الحجز او المنع سبباً للشكوى أو لادّعاء «بطولة». ساهم كلّ ذلك في عدم وصول المعلومة في أحيانٍ كثيرة، لكني لم أبالِ بالأمر. ثمّ إنّي لا أتقن لعبة الترويج للذات. لقد لاحظتُ أخيراً أن سيرتي المدرجة في ويكيبيديا «ناقصة» بشكل فادح، لكني لم أعرف كيف أتدارك الأمر ولم أهتمّ به كثيراً. فضّلتُ دائماً النظر إلى الأمام. إلى المستقبل. إلى الكتاب القادم في ما سمّيته «حرب المواقع». يحجز لي كتاباً، فاكتب أغنية أو أترجم نصّاً أو أنشر مقالة. كانت تلك طريقتي الطبيعيّة لتحقّق الشاعر. يؤلمني طبعاً أن أرى شراسة البعض في مهاجمة زملائهم بعبارات من نوع «فلان انتهى». رأيت هذه العبارة تطلق مثل الرصاصة على معظم شعراء تونس وكتّابها جيلاً بعد جيل من الشابي إلى المسعدي إلى آخر القائمة. احتفظ في ما يخصّني إلى اليوم بقصاصات كثيرين «بشّروا» بموتي شعريّاً منذ نهاية الثمانينيات لمجرّد أنّهم لم يتجاوزوا فقرهم الإنسانيّ المدقع. ثمّة شيء خارق يحدث في مسيرة الشعراء الذين يتعجّل بعضهم موتهم بهذه الطريقة: كونهم يعيشون أكثر من حياة.

■ قلت في آخر حضور لك في معرض الكتاب أنّ «سبعة أقمار لحارسة القلعة» هو أهمّ أعمالك؟

ـ في هذا الكتاب بذورٌ مغامرة جماليّة تطوّرت في التالي من الأعمال. أوّل تلك البذور اعتماد «الكتاب» كشكل رئيسي. فأنا لم أنشر «مجموعة شعريّة» بالمعنى المُتعارف عليه، بل حاولتُ دائماً بناءَ كُتُب ذات معمار خاص يتيح لَها أن تتنفّس حين تتشظّى وتتوحّد. كانت تلك طريقتي في التعامل مع كياني ذاته، مع شظاياي الشخصيّة. من ثمّ كان هذا الكتاب سيرتي الشعريّة من ناحية وقراءتي للعالم الذي أعيش فيه من ناحيةٍ أخرى. هكذا ظلت الكتابة عندي طيلة أربعين سنة. كنتُ أنا «آدم» وأنا «يسار» في هذا الكتاب وهما يخوضان رحلةً لا يدركان تماماً الغاية منها. و«كنتُهما» حين فرّطا في أعمارهما السيئة لفائدة حارسة القلعة مقابل أن تسمح لهما بالدخول. وكنتُ أنا «يسادم» المتحوّل المتشكّل من آناه وآخره، الذي أراد الخروج من القلعة ليصدع بحقيقة خيبته، فأعطته الحارسة شفةً من نار وشفةً من كبريت وقال له اخرج وتكلّم. لقد خرج «يسادم» من القلعة لكنّه ظلّ في نهاية الكتاب متردّداً خائفاً لا يريد أن يختار لأنّه لا يريد أن يتحمّل مسؤوليّة خياره. هكذا بدا لي واقعي الشخصي والواقع التونسيّ والعربيّ في تلك الأيّام. وكانَ مأساة اليونان تتأنس حين تتعرّب: ماساتهم إرادة بعارضها القدر ومأساتنا إمكان تنقصه الإرادة. لهذه الأسباب وغيرها أكّدتُ على أهميّة «سبعة أقمار...» في تجربتي من جهة أنّه كتابُ «أمّ» أو «أب». إنّه عملي الأوّل. العمل الأوّل هو أمّ الشاعر أو أبوه كما أنّ الطفل هو أبو الكهل أو أمّه.

■ هل ترى أنّ لكل شاعر عملاً واحداً يترجم روح تجربته؟

ـ ليس تماماً. أهميّة العمل الأوّل لا تعني بالضرورة أنّه الوحيد أو الأفضل... أهميّة العمل الأوّل لا تمنع الأعمال التالية من إحداث مستويات من الاختلاف وأحياناً من القطيعة. لكنّ النظر في هذه الأعمال قد ينبّه إلى ملامح أساسيّة في التجربة. والحقّ أنّي لم انتبه إلى أهميّة هذا الكتاب بالنسبة إلى تجربتي إلا في وقت متأخّر، بعدما اطّلعت على بعض الكتابات ومن بينها عمل شارل موورون «من الإستعارات الملحّة إلى الأسطورة الشخصيّة». أيّاً كان الأمر، فهذه مجرّد وجهة نظر. وأنا لا أحال القارئ مضطرّاً إلى تصديق الكاتب حين يتحدّث عن أعماله، لأنّ ما يقوله في هذا المجال ليس سوى رأي من جملة الآراء.

> **لم ينتقل بيان الثقافة العربيّ «الأوّل» إلى الرواية كما يظن بعضهم بل انتقل إلى السياسيّ الشعبويّ الذي يبيع سرديّة مسمومة**
>
> **الترجمة هي الأصل. إنّها تتيح لنا ما يتيحه الشعر: الإقامة على الارض وفي العالم**

■ أنت من أقل الشعراء حضوراً في المناسبات الشعرية في تونس (تعتذر غالباً). هل أنت من الذين يعتبرون أنّ الشعر يوجد خارج المنابر وبعيداً عن الجمهور الحاضر بمعنى أنّه يقرأ في الصمت والعزلة؟

ـ لا أعتقد أنّ الشعراء يريدون أن يُقرأ شعرهم في الصمت والعزلة. لو صحّ ذلك لما رأيناهم يحفلون بلقاء الجمهور مهما قلّ عدده من أيّام عكاظ وصولاً إلى بودلير ورامبو وسعدي وسركون وسيميك إلخ... صحيح أنّ الشاعر ينصت إلى نفسه، لكنّ نفسه لا تكتمل إلا بالآخر. من ثمّ لم نكفّ عن الحكم على المجتمعات بالتخلّف أو التقدّم وفق إقبالها على الشعر أو تجاهلها له. أنا أفضّل البحث عن أسباب عزوف الجمهور عن الشعر عوضاً عن التظاهر بالعزوف عن الجمهور. أعرف كثيرين يترفّعون عن الجمهور ما دام منصرفاً عنهم ويلعنون الأمسيات التي لا يشاركون فيها ويشكّكون في المهرجانات التي لم يدعهم إليها أحد، لكنّهم ما إنْ يحصلوا على دعوة حتى يصبح ذلك النشاط «مأثرة ثقافيّة». وفي السياق نفسه، تراهم يلعنون أكبر الجوائز لأنّها تتجاهلهم أو لأنّهم يفشلون في نيلها وما إن يحصلوا على أقلّ منها حتى تصبح أهمّ من جائزة نوبل. لا أريد ركوب هذا المنزلق.

بالنسبة إلى تجربتي الخاصّة، كان الصمتُ والعزلة من أعزّ «اصدقائي». لكنّهما صمت وعزلة مجبولان من طين الحياة. اعتدت أن أكتب في خلوةٍ لكنّها خلوةٌ في الزحمة ووسط الناس. ألِفتُ أن اكتب في المقاهي الصاخبة، فإذا بذلك الصخب يحفّ بي مثل قوقعةٍ من الصمت. لذلك كنت أسعد كثيراً كلّما لمست رغبةً في الاستماع إليّ. ولم أنفكّ احضر بحساب وأعتذر بحساب وأنتقي الأمسيات والتظاهرات التي أشارك فيها. ذاك شأني منذ الثمانينيات آنذاك فضاءات إعلاميّة لمعارضة «السرديّة الرسميّة» غير الأمسيات التي ينظّمها الطلبة والنقابيّون والحقوقيّون. فتشكّلنا في حلقات من الشعراء الجوّالين وجُبنا البلاد صحبة فنّانين ومجموعات موسيقيّة عديدة. اليوم أصبحت وسائل التواصل أكثر من أن تحصى ولم يعد في وسع السلطة أن تسيطر عليها. من ثمّ أصبحتُ أكثر تأنياً في مشاركاتي. ولعلّي كنت محظوظاً بطبيعة إيقاعي في التعامل مع التظاهرات الثقافيّة، فقد جعلني جمهور هذه التظاهرات أجوب تونس من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها مرّات ومرّات، وأتاح لي زيارة معظم البلاد العربيّة، وجعلني أقرأ قصائدي في أغلب البلاد الأوروبيّة، وحملني إلى الهند واليابان وأميركا اللاتينيّة. وأنا مدين للشعر بذلك كلّه. فشكراً للشعر ولجمهوره على قلّته.

■ في السنوات الأخيرة تكاد تتخصّص في الترجمة، ما هو موقع الترجمة في تجربة آدم فتحي؟

ـ بدأتُ منذ نهاية الثمانينيات ترجمة عدد من النصوص الفلسفيّة. ثمّ نشرت أوّل كتاب في التسعينيات. وما كنت أزمع خوض التجربة بمثل ما كان من استمرار لكنّي تماديت فيها بعدما أدركت حقيقتها. الترجمة ليست إبداعاً من درجة ثانية بل صديقي. الترجمة هي الأصل. إنّها تتيح لنا ما يتيحه الشعر: الإقامة على الأرض وفي العالم. إنها ليست وسيطاً بين نصّ سماء ونصّ أرض. بين نصّ في لغة مصدر ونصّ في لغة هدف، بل هي تدخّل إبداعيّ لخلخلة المتكلّس في الهويّات بداية من اللغة. تأتي لتلقّح كلّ لغة وكلّ خطاب كي لا يتكلّس. الترجمة كالشعر بناءٌ لسوء التفاهم وبناءٌ بسوء التفاهم. تقوم على المعادلات. تربط العقدة وتحلّها. تختار وكلّ خيار إقصاء. ثمّ تمدّ جسوراً من الكلمات والأحاسيس والصور والأفكار والأصوات، تتقاطع وتتشابك لصنع النصّ الجمعيّ المبني على الفرادة، ولإنتاج الائتلاف المبنيّ على نسبة من الاختلاف والتنوّع تكفي للانفتاح والتجدّد.

■ عدت في العامين الأخيرين إلى المهرجانات العربية، كيف ترى خريطة الشعر العربي اليوم؟

ـ بالنسبة إلى خريطة المهرجانات هي اليوم أكثر ازدهاراً في بلاد الخليج. وبعضها جادٌ في جعل الوفرة الماليّة في خدمة إنتاج المعنى. أمّا بالنسبة إلى خريطة الشعر العربيّ، فهي لا تنفكّ تتطوّر. إنّها أفضل ممّا يظنّ البعض. ثمّة تجارب تتوهّج شباباً وحيويّة تطالعنا من جميع الأجيال وفي كلّ الأنحاء ومن كافّة البلدان العربيّة. وإذا كان الشعر العربيّ بخير، فإنّ الساحات الثقافيّة العربيّة في جانب كبير منها ليست كذلك. لقد عقدتْ السلطاتُ والمعارضاتُ نوعاً من التحالف الموضوعيّ ضدّ المثقّفين لأنّها في معظمها لا تتحمّل المثقّف الذي لا تسيطر عليه. هكذا تمّ ترويج سرديّات مزيّفة من نوع «غياب المثقّف» أو «هامشيّة المبدع» بينما المثقّف في الحقيقة مُغيّبٌ وليس غائباً والمبدعُ مُهمّش وليس هامشيّاً. ولإحكام الضغط عليه، تمّ تجويعه وحرمانه من القوانين والبنى التحتيّة التي تكفل له العمل بكرامة وتمّ تطويقه بمؤسّسات وفعاليّات مبنيّة على ذهنيّة الموالاة. وكان من نتائج ذلك أن أصبحت الساحات الثقافيّة في معظمها أشبه بالحلبات الرومانيّة يتعانس فيها المثقّفون لا عن طريق الإبداع بل عن طريق إخلاء المكان من المبدعين الحقيقيّين. هكذا أستطيع أن أجيبك: الشعر العربيّ بخير. لكنّ الساحات العربيّة ليست بخير. ولا يقتصر الأمر على الساحات الثقافيّة.

■ هل صحيح أنّ الشعر لم يعد بيان الثقافة العربية الأول؟

يبدو أن المراحل الشعبويّة تتفوّق في المجال الشعريّ إلى حروب شكلانويّة يستشرس في إشعالها الخالون من أيّ كثافة على مستوى الشكل أو المضمون. هذه الحروب الشكلانويّة لم تتجاوز حتى الآن التمترس حول قصيدة البيت أو قصيدة التفعيلة أو قصيدة النثر، فإذا بأنصار هذا النمط أو ذاك من الكتابة، ينكرون شعريّة أنصار النمط الآخر ويطردون شعراءه من جنّة الشعر! هؤلاء يرفعون شعارات الحداثة والحريّة والاختلاف لكنّهم في الحقيقة عبدة اصنام. لم يخرجوا بعد من مرحلة أيقنة الشكل. لن يتحرّر الشعر العربيّ إلا يوم يتحرّر الشاعر العربيّ من أوثانه. في انتظار ذلك، لم ينتقل بيان الثقافة العربيّ «الأوّل» إلى الرواية كما يظن بعضهم بل انتقل إلى السياسيّ الشعبويّ الذي يبيع سرديّة مسمومة.

أحلم برجل السياسة العربيّ الذي يفهم أنّ الثقافة هي التي تجعل التراب يرتقي إلى مرتبة الوطن وتجعل الكائن يرتقي إلى مرتبة المواطن. يقال، ولا أدري مدى صحّة ذلك تاريخيّاً إنّ الهجمات النازيّة كانت على أشدّها حين أشار بعض شيوخ البرلمان البريطانيّ على وينستون تشرشل بأن يقتطع قسطاً من الاعتمادات المخصّصة للثقافة دعماً للجهد الحربيّ، مُبرّرين ذلك بأنّهم في حالة حرب. فما كان منه إلا أن سألهم مستغرباً: ولماذا نُحارب إذنْ؟ لم يُثبت البحث نسبة هذه العبارة إلى تشرشل. والأرجح أنّها العبارة المحلوم بها، تجري على لسان رجل السياسة المحلوم به. لذلك أحلم أن أراها تجري على لسان رجل السياسة العربيّ اليوم، حيثما كان: لماذا نحارب إن لم يكن من أجل الثقافة؟!

■ منذ بداية الثمانينيات، أصبحت قصائدك الغناة على كل لسان خاصة بين الطلبة والنقابيّين. ماذا أضافت لك هذه التجربة؟

ـ أضافت لي الكثير. أتاحت لي القرب من الناس أكثر. غمستني أكثر في الثقافة الشعبيّة. مكّنتني من الخوض في الكثير من الشؤون العامّة بطريقة شخصيّة. جعلتني أكثر راحة من الناحية الإبطيقيّة. فتحت آفاقاً أوسع أمام تجربة الكتابة عندي. أنت تكتب القصيدة وحدك. أمّا الأغنية، فأنت تكتبها مع الملحّن والمؤدّي والمستمع. إنّها نوع من الحوار مع الجمهور أيضاً. تنصت إلى الآخر فيما أنت تحاول أن تجعله ينصت إليك. هكذا تتغيّر ذائقتكما معاً ومن ثمّ قدرة الأغنية على التأثير والتغيير.

■ غنى لك الشيخ إمام «يا ولدي»، ماذا تذكر من هذه التجربة؟

غنّى لي الشيخ نصوصاً أخرى إلى جانب «يا ولدي». «اصحَ اصحَ». «قهرزاد». «لا عاش غصنٌ». «الحجر». «نشيد الاتّحاد العام التونسي للشغل». «نشيد الاتّحاد العام لطلبة تونس». إلخ... من دون أن أذكر نصوصاً أخرى عديدة ضاعت لأنّنا لا نملك تسجيلاً لها. وأنا أذكر تلك التجربة بتفاصيلها ولا أنسى منها شيئاً. كان معلّماً حقّاً كمبدع وكإنسان. وتركت رحلتي معه أثراً بليغاً في روحي. إنّه لا يفارقني لحظة. وإنّك تسألني عنه الآن، فأكاد أراه أمامي ونحن في سيّارة من تونس إلى قفصة، وهو يضرب بيده على فخذه بوقع لحناً جديداً. مشهد استعدته في أحد النصوص:

«قال إنّه تعوّد على ذلك. أن ينقر الألحان
على جسده طيلة الليل
في الغوريّة، كي لا يزعج الجيران.
أنظُر،
وأراني بقعة داكنةً على فخذه. منها كانت الكلمات تقطرُ بصدقٍ زرقاء
مثل الكدمات...»

آدم فتحي: السلطان والمعارضات عقدت تحالفاً ضدّ المثقّف

فصول من رواية

رَجُلٌ مِنْ أَرَقٍ *

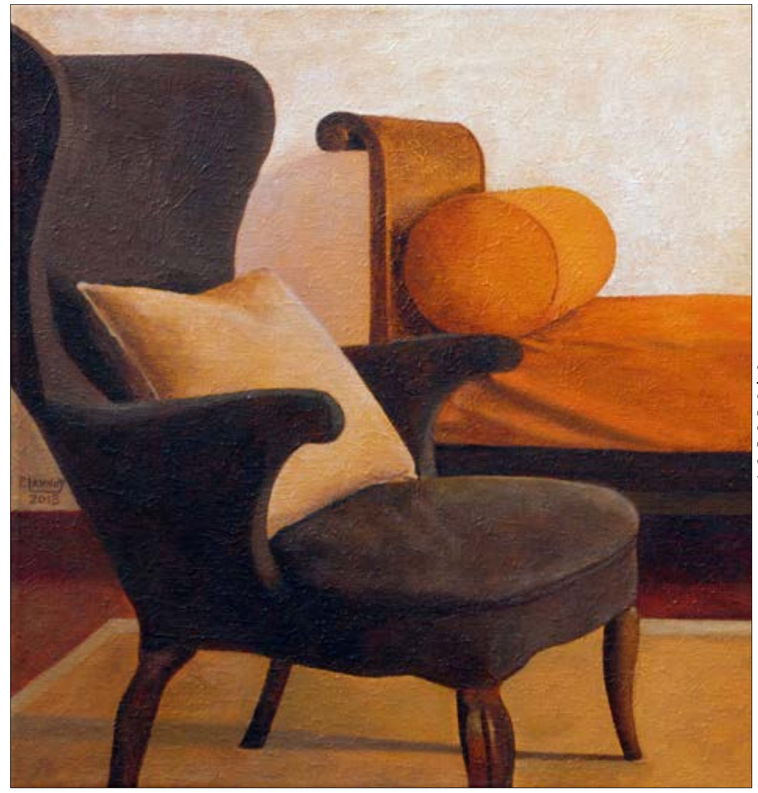

باتريس لانوي ـ «ديوان الطبيب النفسي» (أكريليك على قماش ـ 2021).

اضطراب القلق ممزوجة بالاكتئاب، ساتحدّث كثيراً لكن لديّ مطلباً قديماً جديداً، فلتكن الجلسة على مدى ساعتين!! وأعدكم بالتحكم في مزاجي. سنتحدث في السياسة والشعر والحب والجنس والقتل والمجتمع والعادات. وها أنا وقفت كتاكيد جسديّ صريح وحاسم بأني ساغادر، شكراً لكِ لقد فتنتني بقدرتكِ الفولاذيّة على عدم مقاطعتي كون العرب ظاهرة صوتيّة والمهم عندهم الثرثرة والثرثرة تبدأ من فعل المقاطعة لا من فعل البوح. الوقت ليس مناسباً للتنظير. سنتحدث كثيراً في الأسابيع المقبلة أرجو أن تدرسوا مطلبي. إلى اللقاء.

■■■

الجلسة الثانية

- كيف حالك اليوم؟

-الحمد لله تمام

- أخبرني ما جديدك؟

- دائماً هناك جديد، وقديم بطبيعة الأحوال لكن عن أي جديد بالضبط تريدينني إخباركِ؟

- أي جديد لا يهمّ، ابدأ من حيث تشاء.

- هاهاهاها! الأمور تزداد صعوبة معكِ، المشكلة أنّي لا أستطيع النظر إليكِ كوني...

- كونك تحتاج إلى الهروب من ماضيك؟

- أبداً أبداً، إذا أردت الهروب لن أهرب إليكِ أو إلى العيادة بالأحرى، لن أختار العلاج، الهروب هو زركشة المرض، تطريز ثوب مفرح له لستره وطمسه بجماليّة أكثر وأناقة أكبر. الهروب هو كل شيء سوى الاستقرار، قد يكون على شكل طائرة تذهب إلى اللامكان أو غيمة تتهرب من غوايات الشتاء... لم تفهمي قصدي هكذا يقول وجهك! نعم، نعم، أقدّر هذه «الدربكة» التي أحدثها كلامي لكن لا يهمّ، المهم أني أتكلّم وأن هناك من يسجل ملاحظات، هاهاهاهاهاها جميل أن تتقمّصي دور وكيل النيابة أو مثلاً دور أستاذ محاضر أو محامي في محكمة ما يرافع في قضيّة حسّاسة وممثل النيابة يسجل ملاحظات ليواجهه حين ينتهي من مرافعته، جميل أن تتخيلي كل هذا وتعيشي هذه الأدوار وأنتِ مجرّد مريضة في عيادة بائسة، بائسة جدّاً فيها ما يكفي من العتمة وما لا يكفي من الضوء، على سيرة الضوء والعتمة، والنور والديجور لأخينا الراحل ميخائيل نعيمة، «اللمبا» المزروعة في سقف الغرفة تشبه العين المنافقة!

- العين المنافقة أو الحاسدة؟

- لا المنافقة ولا الحاسدة، هاهاهاهاها، تشبه عيون من أكرههم..

- لا أتصور أنّ الكره مصطلحٌ منا..

- دعيني أكملللللل!!!!! بئس الشعوب الشعوب العربية التي لا تستحق الحوار والديمقراطية، أنا «الحق عليّ» الذي سمحت لكِ بمحاورتي بئس كل شيء، كم مرّة قلت لكِ لا تقاطعيني... لا تقاطعيييييييييني!!!!!!!! كلكم تتكلّمون على مدى ربع قرن وأنا أسمع الأصوات والأحاديث ولا أفهمها ولم أملك الحق في التعبير عن عدم فهمي لها وأنتِ الآن تقاطعينني أدري هل تريدون التكلم فقط من أجل التكلم، تكلّمي تفضلي تكلمي، ماذا تريدين هيا هيا، فأنا فقدت الطاقة على التعبير، هيا!! ماذا تنتظرين، هيا!!!!

-لا أفهم يا جود، لمَ أنت غاضب اليوم، لي كل الحق في سؤالك هذا

- لا!!!!!!!! كأني في طاحونة وأغني موّالاً، أريد المغادرة، لن أكمل الجلسة اللعينة هذه، أريد المغاااادرة!!!!

- لن تستطيع..

- ساغادر ولن يمنعني أحد، فأنا صاحب الكلمة، وصاحب الحاجة و...

- لأنك صاحب الحاجة لن تغادر

قاطعتني مجدّداااااا .. سأغاااااااااادررررر.. إلى اللقاء.. إلى اللقاء!!!!!!

[..]

(*) فصل من رواية صدرت حديثاً بالعنوان نفسه عن «دار زمكان» في بيروت.

(**): صور/ لبنان

نبيل مملوك (**)

الجلسة الأولى

«عليكِ أن تسمعيني» بصوت عالٍ مليء بكل أشكال الغضب والعنف، قلت لها من دون أن أتوخّى تلقّي أي ردّة فعل عكسيّة أو مشابهة للفعل الذي اقترفته. في نهاية المطاف، أنا هنا، في عيادة أتحدث بالعموميّات وأنتِ بوجهكِ الأسمر المنهك من القصص والحكايات وبشعركِ الكستنائيّ الذي أنهكته أمواج الأيام والسنون وعيناكِ الصغيرتان كعلامتيّ وقف غير مرئيتين بالنسبة إلى محيطات من التعابير والأحاسيس، تسجلين كل ما أقوله أو بعض الملاحظات أو رؤوس أقلام أو مفاتيح كي تربطي بين الأزمنة التي صنعتني كوني أعجز من صنع الأقدار. «على سيرة الأقدار» هل نحن نصنع أقدارنا؟ لا أنتظر إجابة منكِ أعرف أنكِ تلعبين دور الحكم بين هواجسي وبين الذات والأشياء الأخرى التي تدور في فلكها، لكن إبراهيم ناجي ختم رائعته الأطلال «ربّما تجمعنا أقدارنا ذات يوم بعدما عزّ اللقاء...» نعم أعرف أنّ هناك تتمّة للقصيدة بعد؟ اتظنينني غافلاً؟ أو مجرّد راعي غنم يسيّر أيامه كالذابة والمواشي ويحفظ فُتاة الإيقاعات؟ لا تنسي أنا متخصّص بالنقد الأدبي أكاديميّاً، ولولا تضخّم الأنا لما كنت ساعيد عليكِ تعريفي بذاتي، كوني سجلت كل ما سأذكره الآن بانتشاء وفخر حين فتحتِ ملفّاً باسمي ليلتم مع سائر الملفات في درج المازومين قصراً. أنا جود صابر، 30 عاماً من مدينة فيها البحر والبر والجو، مشروع أستاذ جامعيّ ويقال أني ناقد وشاعر. لديّ الكثير الكثير لأقوله قد لا يهمّكِ أو يهمّ من سيقرأ ملفي من الأخصّائيين والدكاترة لكنّه يهمني ويهمّ مسام الكون الذي يتنفس من قصصي، أتمسك بالـ «لا» أكثر من الـ«نعم» وأتمسك بالغضب أكثر من الصبر، بالمناسبة أنا أكره الانتظار، وأكره عامل الوقت يا ليتني أستطيع القفز فوق عقارب الساعة أعشق الوصول إلى النهايات، لا أطمح إلى صياغتها بقدر ما أطمح إلى الوصول إليها. أعشق فرنسا وسابرر عشقي لها في الجلسات المقبلة، وأكره أكل الفقراء وسابرر كرماً مني ذلك... أنا سعيد جداً لأنكِ لم تقاطعيني حتى الآن، تشيرين إلى ساعة الحائط لإعلامي أن وقت الجلسة على وشك النفاد؟! نعم، نعم سأختصر لكنّي بغضب شديد أحتجّ! ينبغي أن يكون وقت الجلسة ساعة أو ساعتين، أعرف أن هناك مرضى آخرين وقصصاً أخرى عليكِ تجرّعها قبل الذهاب إلى البيت والنوم لنسيان كل شيء من هذا النهار الروتيني الرتيب ومنها قصتي، لكن تذكري أنا لا أنام جيداً أعاني من تشنّج يوميّ في أناملي وقدميّ أتصارع مع قصصي وأصارع أبطالها وأصرعهم وأنتشي عندما أتغلّب عليهم بعنف، وأعاني حين لا يكتمل المشهد أو يقاطعني أحدهم، وخاصّة حين أتذكر أنّ منتصف الليل قد حلّ وأني أدير العالم والهواجس والشخصيّات والتعابير والذين أصارعهم وأتفوّق بالضرورة عليهم من سريري، بالمناسبة أودّ أن أسألكِ لمَ تنهال المسائل الفلسفيّة والأسئلة الوجوديّة علينا ونحن نتجه إلى النوم؟ قد لا تكون حالة عامّة، وقد تكون لنفسي بتعميمها، يقول نيتشه: الأفكار العظيمة تولد أثناء المشي. هل الأفكار تمشي في دواخلنا فتولد عظيمة أم الأفكار نفسها تدفعنا إلى رغبة عضويّة هي المشي؟ لا أريد الإجابة الآن يا حضرة المعالجة، هاهاهاهاهاهاهاهاهاها تبتسمين كونكِ تقمصتِ فجأة دور القاضي الفاصل بين نزاعاتي وصراعاتي وبين ذاتي وأشيائها الأخرى، أفهمكِ لأن انتحال دور القاضي شعور لذيذ لكنّه مؤلم كالشعر، الفخ الأزليّ. سأتركِكِ الآن، ولا يهمني حال المريض الذي ينتظر خروجي، لا يهمني مدى صبره ولا تهمّني قصّته ولا حتّى أفكاره واعتراضاته وصرخاته، المهم أني ساخرج نصف بخير... تعبير غريب!!! نصف بخير. تطلبين مني في الجلسة المقبلة أن نتحدث في مواضيع أعمق، فليكن، توصينني بمتابعة أخذ الدواء بانتظام، نعم أنا أفعل ذلك منذ اليوم الأول، أي قبل شهر حين شخّصتم حالتي بأنها

قصائد

قصائد باريس

مهدي منصور *

1- قطار باريس

الريح نائمةٌ
خرجتُ وكان جرحٌ في الحقيبة يستفيقُ

بيتي ويعرفني
لـذاكَ أذنْـت لغيمةٍ أنْ تحفظَ الأسرار عني
واحتياطاً كنت أحصيتُ العصافيرَ التي في رأسهِ
كي أستدلّ عليهِ...
علّمْت المكان بقبلةٍ فوق التراب
وقلتُ حتى البيتُ ينسانا ويخطئنا الطريقُ

وقطعتُ نصف العمر نحوي وانتبهت
نسيت أمنيتي هناك،
أدرتُ ظهري كي أعودَ،
وكان يصحبني انتمائي للمكان
فقال لا تعجّل ساجلس في القصيدة بانتظارك...
عدتُ أوغل في الطريق وكان يوغل في دمي جرحُ السماوات العميقُ

مَن كنتُ؟ لا وجه يشابه غربتي لا صوتَ ينبتُ في فمي لا ريقُ...
يا ربّاه إنّ تشابُهَ الأبواب أقسى من يدِ السيّاف كانَ،
وقبلتي فوقَ التّرابِ غدتْ سنونوةً وغابتْ
كانَ أكثر من غناء الطير إيلاماً على جسدي التساوي في عديد الطير والسطحُ العتيقُ...
البيت كان هناك يبتلع السنين وكفّ أمنيتي تجعّد في الخزانةِ..

قلت لا ضيرَ
الرحيلُ أمارةُ الناجين من كتب الإقامةِ،
وارتحلت مجدّداً جهةَ اليقين.
وجدْتُ حبر دمي على جلدِ الرسالةِ
كان وقّعها غداةَ رحيله في غيبتي الوطنُ الصديقُ...

2- باريس

-1-

الذين يولدون لمرّةٍ واحدة، يموتون كثيراً
إلّا مَنْ رحمتْ باريس...
هذا النهارُ ضفيرةُ امرأةٍ متبرّجةٍ
وشارعٌ في الجانب الغربيّ من باريس يصحبني إلى حبٍّ جديدٍ
غير أنّ مظلّتي كانتْ معطّلةً
وثمّةَ من ثبّتوا الغيم بالمسامير..
الأماكنُ أمارةٌ بالحنين،
وهذه السماءُ أكثر براءةً من أنْ تعجّ بالآلهة..
سأمشي كإسفنج في بحر..
وأغني لكِ بصوتي السيّئ:
«ماذا كنت تفعلُ هنا يا البير كامو؟. الآن أفهمُ ما الذي شغلك عن حكم الإعدام المُبرم»
سأصفكِ كما يفعل الشعراء:
أميرةٌ تحفرُ التراب بالحليّ
نامت على المرج الأخضر
سقطت كفّها عن جسدها إلى باطن الأرض
فبنى الجرذان سكك الحديد على خطوط يديها..
من يعمل في باريس لا يراها..
من يتأمّل فيها يعتملُ

وراء حائط اللوفر، كانَ التاريخ يتبوّلُ

وهو يقول:
أرضيتَ يا سارتر؟، خذْ حتّى ترضى...

-2-

عندما تنظرين إلى الشرق يخضرّ قلبي قليلاً..
وتنساب أغنيةٌ في عروق الضجرْ...

سيستغرق الجرح وقتاً ليكتشف الليلُ حزنَ القمرْ...

هنا الأرض أضيقُ من رغبتي بالبكاء،
وهذي السماء،
على الرغم من كل بهجتها في المساء...
ورغم اتساع المدى واخضرار الشجرْ...
عروقيَ خيطان طائرةٌ في بلادي،
وقلبي حجرْ...

دعيني أصدّق عينيك يا حلوتي،
كلّ من كان خان،
دعيني أصدقُ أنّ يديك اهتدائي الأخير إلى لغتي الواعدةْ...
دعيني أقسر جوعَ العصافير
وهي تحومُ على سورة المائدةْ!

دعيني أفكر بي، وبنا، وبمن قال إنّ الهويات تصلُ بأحلامنا الهامدةْ...
لماذا تظلّ البلادُ التي عذبتنا طويلاً ندوباً بأرواحنا الباردةْ؟
وهل نحن نرحلُ ما دام تبقى البيوتُ ثقوباً بأجسادنا الشاردةْ؟
لقد قطّعتنا البلاد إلى حطبٍ في الرحيل،
وقد أحرقتنا اشتياقاً،
فكيف تحنّ الغصون إلى الريح والشجرة الجاحدة؟

ولماذا على غرقٍ أبيض حين أكتب
أسكب كل القصائد في دمعة واحدةْ؟

-3-

ومثلكَ يخطف زهو الرّحامْ
هو الماء في البيت شيخٌ رضيعٌ..
متى تستحمين يغسل جسمُك ماء تكلّس وهو يصلي لأجلك في خاطر البيت..
يسمرّ وهو يمرّ على كتفيك،
ويحمرّ حين على حبّتين من البنّ يغفو الرضيعُ

وينساب صوب الحقول.. ويهمي إلى شغفٍ مضمر
حيث تولد فينا الظنون ويولد منك الربيعُ...
لذا تشبهين تراب البلاد..
ويشبه لونَ صباك الجميعُ..

رزقنا بوجهك حتى انتشينا / وسرعان ما انتابنا الخوف أن ترحلي أو تكوني سراباً...
فصرنا نشد بشعر الصباح، ونقرص شمس النهار بأدائها كي نصدق أعيننا...
نحن لم نتعود على الفرح السهل؛ جداتُنا علموا أهلنا أن يخافوا إذا سار شيء على ما يرام..
وقالوا لنا: حين نفرح يوماً سنحزن يومين...
نحتاج أن نحتفي بيديك طويلاً... ولا نستطيع...
ونحتاج أن نتبارك بالماء يهطل منك علينا، ولا نستطيعُ...
وأن نكتب الشعر عن شامة في مكان خفيّ ولا نستطيعُ...
فقد يتأتى من الفرح المحض حزنٌ رفيعُ...

ولدنا ببيت يخاف الفكاهة والحب والشعر، يستحضر الله إن ضحك الناس جداً،
فإن جاءنا خبر جيّد نتعوّذ بالسر...
نستغفر الله من قسمات النساء النساءُ الجميلاتُ منهن يعني ابتلاء شديداً...
ونمشي على هدي آبائنا من عشرين عاماً، ولا نقرب الحب!
ما بين أن يبتلينا به الله، أو يحتوينا به الله خيطٌ رفيعُ...

ولكنّ ماءً تسلل منك إلى بُرك المؤمنين،
وجرح الينابيع في باطن الأرض...
ما زال يحمل ملح يديك إلى صلوات الذكور وليل البيوت القديمة...
كي لا تضيع الأنوثة وهو يعلّمنا...
أن شعباً بلا امرأة حرةٍ،
ذات ليلٍ سيفهم كيف الخرافات تبقى... وكيف البلاد تضيعُ..

* لبنان

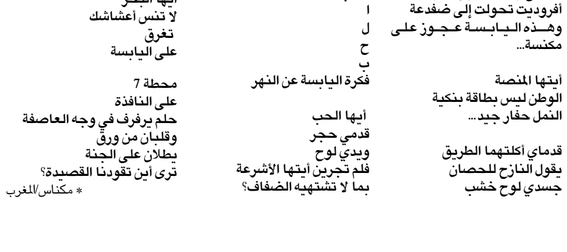

ادوار ليوت كورنيس ـ «باريس تحت الثلج» (زيت على كانفاس ـ 1882ـ1969)

ظل يبحث عن شجرة

زكية المرموق *

1- لا سواي في القيامة

لم أتواطأ يوماً مع النجوم
أيها الفلكيون
لكنني من برج الثور
رغم أني لا أملك مزرعة
وليس لي من حظ العشب إلا العطش
«ترابكون أنتم»
تقولون
لكنّ قلبي سماء
وأرض جسدي
فأين بدك أيتها الريح
كي ألتقي بي؟

ولدت ليلة الجمعة
والنساء في بلدي
لسن من حرير
ولم يتعلمن أن يغنين:
«هلا بالخميس»

النساء هنا
أعشاب مرة
لا دليل لهن إلا الحزن

النساء هنا
حلازين يبحثن طول الوقت
عن سقف للغابة

ولدت يوم 13 ماي
رقم نحس كما يدعون
لهذا علاقتي سيئة بالرياضيات
بالكاد أستطيع أن أعد الأيام
التي تفصلني عن الراتب الشهري
أو ساعات الترانزيت
قبل الغياب

كل حساباتي تسقط في مهب الخواء
الخواء نقطة بين جملتين الرابط بينهما
في النص
النقطة عود ثقاب نائم...

كانت أمي تبخر البيت كل ليلة بالشبة والحرمل
كي تبعد الفأس عن شجرة العائلة
الشجرة التي حزمت أسماءنا في صرتها
وغادرت
حينما تكالبت الفيروسات على حصيرها
وتركتنا نغرق في الجدران

الأسماء أوتار
وأحياناً غبار
فهل النسيان تخفّ أم تجلّ
أيتها الذاكرة؟

كلما نظر النهار إلى وجهه
في مرآة الليل
أصيب بالعمى
يقول لمرديه الليل:
ليس كل باب ضوء
فما جدوى المفاتيح
أيتها الوصايا؟

النهار عين
الليل إبرة
ونار هو الخيط
فهل الثوب أيتها الحياة
شكل أم معنى

يقول ريتسوس أنك جرح في العدم
ويقول العدم لصداه:
إني أعد مائدتي
ولا سواي في القيامة
فهل من نديم لنكمل السهرة
أم رفيق لنبدأ الصلاة؟

يا درويش
حينما تنتهي اللغة تبدأ الموسيقى
الموسيقى دلو
والشعر بئر
أيها الإيقاع/ الماء
الكأس
كأس من يرقص الآن في الحضرة.

2- عرش على مقبرة

لا حاجة لك بقميص
كي تنزل البئر
ما دثار...

أيها الغريب
لا تلوح بالفأس
كلما مررت بالغابة
بعض الإخوة ذئاب
لكن الأشجار أمهات...

أيها العاشق
لا حاجة لك بفانوس
كي تدخل الليل
عيون القلب أبلغ...
بعض الأبواب شائكة
شائكة كما الأسرار
فلا تحاول أن تفسر بالكلام
ما يضيق به الكلام
الشعر نقار أسئلة
والأسئلة منجل...

أيها المسافر خذ من الطريق خدرها
واحذر نوايا الإشارات
ليس كل من يحمل بوصلة يصل
الضوء صياد...
الحزن
لا يجيد الاختباء
يا ماكسويل
الثياب لا تستر الصوت...
عجلة الجامع لا زالت تدور
صديقي فأبيخو
والحقل دمي
قل للموقد أن يجمع أعضاءه
لا حدّ لهذا البرد...

كلما اشتبكت الأين مع المتى
أصيب بالعمى الشهود
فهل سيفتحون لهم الأبواب
والخرائط حطب؟

كافكا
وأنت تنصب الفزاعات على الأرصفة
لا تدس الليل في أحلام النهار
لا أحد يموت على هواه
ولو بعد الموت
الحياة مذاق قبلي للجحيم...

فيا هفست
لا تشح رأس النهر بالنار
أفروديت تحولت إلى ضفدعة
وهذه اليابسة عجوز على مكنسة...

أيتها المنصة
الوطن ليس بطاقة بنكية
النمل حفار جيد...

قدماي أكلتهما الطريق
يقول النازح للحصان
جسدي لوح خشب
وهذه الكأس منفى
والكراسي عرش
على مقبرة...

الخطيئة تليس وجه البحر
فالحاجة لسفينتك يا نوح..

3- في مديح الحب

الحب
هو حينما تولد نافذة
ولا تطعنها الجدران في القلب

قصيدة في الكأس
دالية في السقف
ورجل بحجم جنة
الحب
منديل أخضر
يزقزق بين حلم وحطاب
قوس قزح
بين غيمة وريح
حصاد قبلة
بين ذكرى وغياب
احتراق في الماء
وغرق في الرماد

الحب
حنين العطش للعطش
موت حي
في حياة ميتة
الحب
ا
ل
ح
ب
فكرة اليابسة عن النهر

أيها الحب
قدمي حجر
ويدي لوح
فلم تجرين أيتها الأشرعة
بما لا تشتهيه الضفاف؟

4- المحطات من الأخطاء السبعة

محطة 1
حقائب تنزل
حقائب تصعد
ترى ماذا تحمل الحقائب؟

محطة 2
قلوب حية
قلوب مكسورة
ترى ماذا تخفي القلوب؟

محطة 3
مقاعد محجوزة
مقاعد شاغرة
ترى ماذا تنتظر المقاعد؟

محطة 4
بيوت على اليمين
بيوت على اليسار
ترى ماذا تحكي البيوت؟

محطة 5
منديل يتكور على نفسه
المنديل يد في يد
اليد غصن
الساق شجرة من حنين

محطة 6
ملاءة زرقاء على المقعد
أيها البحر
لا تنس أعشاشك
تغرق
على اليابسة

محطة 7
على النافذة
حلم يرفرف في وجه العاصفة
وقلبان من ورق
يطلان على الجنة
ترى أين تقودنا القصيدة؟

* مكناس/المغرب

دراسة

أدب البِدونْ ساحة لمقاومة السرديات الرسمية

تهاني نصّار

«الإنسان الذي لم يعد له وطن، يتّخذ من الكتابة وطناً يقيم فيه» (إدوارد سعيد)

في الثمانينيات من القرن الماضي، وقف رسّام الكاريكاتور الفلسطيني ناجي العلي (1937 - 1987) في مكتب «جريدة السياسة» الكويتية وقال لعرّاب شعر البِدُونْ في الكويت سليمان الفليّح: «أسمع أبها البدوي، كل شخص له عم في هذا البلد، فما رأيك أن تصبح عمي وأصبح عمّك؟». كان الفنان الشهيد يدرك أوجه الشبه بين قضية البدون وقضية الفلسطينيين. بالرغم من اختلاف الحالتين، إلا أن كلاهما يتشاركان معاناة التهجير وعدم الاعتراف والتهميش وصراع الوجود.

يأتي كتاب «أدب عديمي الجنسية في الخليج: الثقافة، السياسة، والبدون في الكويت» (منشورات تكوين) للباحث طارق الربعي (ترجمة أسرار الهزّاع) ليطرح سؤال: هل كان حظ البدون في الأدب والثقافة مختلفاً عن حالهم في السياسة والمواطنة؟ وهل وجدوا في الشعر والقصص والرواية الانتماء الذي حُرموا منه في حياتهم اليومية؟

يتناول الكتاب أدب البدونْ في الكويت كإحدى ساحات مقاومة السرديات الرسمية. يقدّم الربعي بحثه الأكاديمي بقوله في مقدمة الكتاب: «في ظل حرمان البدون تاريخياً من أي شكل من أشكال التوثيق القانوني الرسمي، فإن أعمال الكتّاب البدون تمثّل ظاهرة أدبية فريدة في قدرتها على التعبير عن مفاهيم كالانتماء والوجود والهوية، خارج الإطارات الرسمية، وفي صراعها ضد التغييب المؤسسي السياسي والثقافي والتاريخي». هذا الأدب الذي يضم اليوم روايات وقصصاً قصيرة ومجموعات شعرية، بدأ مع أول ديوان للشاعر البدونْ سليمان الفليّح عام 1979، إذ لم يوجد قبله أي عمل أدبي مدوّن للبدون. يستمد الباحث معلوماته من الأرشيف الإلكتروني للصحف الكويتية ومن مقابلات مع أدباء بدُون على اليوتيوب، ومقابلات أخرى أجراها بنفسه مع شعراء وكتّاب؛ من بينهم دخيل الخليفة، ومحمد النبهان ومني كريم، بالإضافة إلى استعانته ببحوث نقدية عربية ومواد صحافية جمعها بين عامي 1979 و2018.

قبل الولوج في المدخل الأدبي والغوص في قراءة وتحليل كتابات البدون وتعبيراتهم الأدبية والشعرية، يعرّف الباحث عن البدُونْ في الخليج وكيف نشأوا وأصبحوا فئة اجتماعية وسياسية. قبل أن تصنّف الدولة رسمياً مصطلح البدون عام 2011 على أنه «مقيم بصورة غير قانونية»، مرّ المصطلح بستة تغييرات «استجابة للضرورات والاعتبارات القانونية للدولة»، لكن تبقى تسمية خطاب حقوق الإنسان «عديمو الجنسية» مرفوضة بشدة من قبل البدون. يعلّق الناشط عبد الحكيم الفضلي: «نحن لسنا عديمي الجنسية، نحن سكان أصليون».

يوضح الربعي أنّ الدولة سعت إلى تعزيز الانقسام الاجتماعي بين البدو والحضر، ليس فقط في التصنيف والمكانة والحقوق المدنية والسياسية، بل أيضاً في السكن عبر استراتيجية هدفت من خلالها بالحَضَر، فنقلتهم إلى المناطق النموذجية المطورة حديثاً، لكنها تعاملت بإهمال مع سكان الخشيش (مساكن الصفيح العشوائية التي ظهرت حول مواقع شركات النفط في سبيل العمل فيها) حيث أنشأت لهم مساكن موقتة؛ بكلفة زهيدة «باستخدام الطوب الخرساني الرمادي المصنوع محلياً دون أي جبس أو طلاء». مرت قضية البدون عبر التاريخ بثلاث مراحل، حسب دراسة سابقة لفارس الوقيان: مرحلة الاعتراف 1959 - 1986 أي منذ عام إنشاء قانون الجنسية الكويتي، «يتجلى الاعتراف القانوني بالبدون في استثنائهم تاريخياً من قانون إقامة الأجانب» وجُندوا في الجيش والشرطة واعتبروا حسب القانون «حاملي شهادات ميلاد كويتية». المرحلة الثانية «مرحلة الرفض 1986 - 1991 حيث ألغي الاعتراف الرسمي بالبدونْ كمجموعة داخلة في التكوين الاجتماعي، ونظرت الدولة إلى وضعهم إثر الاضطرابات المحلية والإقليمية على أنه قنبلة موقوتة تتطلب تدخلاً فورياً. أما المرحلة الثالثة أي الاتهام، فقد جاءت في أعقاب الغزو العراقي للكويت وتمتد من تحرير الكويت (1991) إلى عام 2009». تجدر الإشارة هنا إلى ضرورة التحدث عن مرحلة أخرى جديدة تحمل عنوان «مرحلة الظهور» بحسب إضافة الكاتب، تبدأ من عام 2011 أي منذ أول تظاهرة عامة للبدون. يعلّق الناشط عبد الحكيم الفضلي: «نحن لسنا عديمي الجنسية، نحن سكان أصليون».

يوضح الربعي أنّ الدولة سعت إلى تعزيز الانقسام الاجتماعي بين البدو والحضر، ليس فقط في التصنيف والمكانة والحقوق المدنية والسياسية، بل أيضاً في السكن عبر استراتيجية هدفت من خلالها بالحَضَر، فنقلتهم إلى المناطق النموذجية المطورة حديثاً، لكنها تعاملت بإهمال مع سكان الخشيش (مساكن الصفيح العشوائية التي ظهرت حول مواقع شركات النفط في سبيل العمل فيها) حيث أنشأت لهم مساكن موقتة؛ بكلفة زهيدة «باستخدام الطوب الخرساني الرمادي المصنوع محلياً دون أي جبس أو طلاء». مرت قضية البدون عبر التاريخ بثلاث مراحل، حسب دراسة سابقة لفارس الوقيان: مرحلة الاعتراف 1959 - 1986 أي منذ عام إنشاء قانون الجنسية الكويتي، «يتجلى الاعتراف القانوني بالبدون في استثنائهم تاريخياً من قانون إقامة الأجانب» وجُندوا في الجيش والشرطة واعتبروا حسب القانون «حاملي شهادات ميلاد كويتية». المرحلة الثانية «مرحلة الرفض 1986 - 1991 حيث ألغي الاعتراف الرسمي بالبدونْ كمجموعة داخلة في التكوين الاجتماعي، ونظرت الدولة إلى وضعهم إثر الاضطرابات المحلية والإقليمية على أنه قنبلة موقوتة تتطلب تدخلاً فورياً. أما المرحلة الثالثة أي الاتهام، فقد جاءت في أعقاب الغزو العراقي للكويت وتمتد من تحرير الكويت (1991) إلى عام 2009». تجدر الإشارة هنا إلى ضرورة التحدث عن مرحلة أخرى جديدة تحمل عنوان «مرحلة الظهور» بحسب إضافة الكاتب، تبدأ من عام 2011 أي منذ أول تظاهرة عامة للبدون. يعلّق الناشط عبد الحكيم الفضلي: «نحن لسنا عديمي الجنسية، نحن سكان أصليون».

يوضح الربعي أنّ الدولة سعت إلى تعزيز الانقسام الاجتماعي بين البدو والحضر، ليس فقط في التصنيف والمكانة والحقوق المدنية والسياسية، بل أيضاً في السكن عبر استراتيجية هدفت من خلالها بالحَضَر، فنقلتهم إلى المناطق النموذجية المطورة حديثاً، لكنها تعاملت بإهمال مع سكان الخشيش (مساكن الصفيح العشوائية التي ظهرت حول مواقع شركات النفط في سبيل العمل فيها) حيث أنشأت لهم مساكن موقتة؛ بكلفة زهيدة «باستخدام الطوب الخرساني الرمادي المصنوع محلياً دون أي جبس أو طلاء». مرت قضية البدون عبر التاريخ بثلاث مراحل، حسب دراسة سابقة لفارس الوقيان: مرحلة الاعتراف 1959 - 1986 أي منذ عام إنشاء قانون الجنسية الكويتي، «يتجلى الاعتراف القانوني بالبدون في استثنائهم تاريخياً من قانون إقامة الأجانب» وجُندوا في الجيش والشرطة واعتبروا حسب القانون «حاملي شهادات ميلاد كويتية». المرحلة الثانية «مرحلة الرفض 1986 - 1991 حيث ألغي الاعتراف الرسمي بالبدونْ كمجموعة داخلة في التكوين الاجتماعي، ونظرت الدولة إلى وضعهم إثر الاضطرابات المحلية والإقليمية على أنه قنبلة موقوتة تتطلب تدخلاً فورياً. أما المرحلة الثالثة أي الاتهام، فقد جاءت في أعقاب الغزو العراقي للكويت وتمتد من تحرير الكويت (1991) إلى عام 2009». تجدر الإشارة هنا إلى ضرورة التحدث عن مرحلة أخرى جديدة تحمل عنوان «مرحلة الظهور» بحسب إضافة الكاتب، تبدأ من عام 2011 أي منذ أول تظاهرة عامة للبدون. يعلّق الناشط عبد الحكيم الفضلي: «نحن لسنا عديمي الجنسية، نحن سكان أصليون».

يوضح الربعي أنّ الدولة سعت إلى تعزيز الانقسام الاجتماعي بين البدو والحضر، ليس فقط في التصنيف والمكانة والحقوق المدنية والسياسية، بل أيضاً في السكن عبر استراتيجية هدفت من خلالها بالحَضَر، فنقلتهم إلى المناطق النموذجية المطورة حديثاً، لكنها تعاملت بإهمال مع سكان الخشيش (مساكن الصفيح العشوائية التي ظهرت حول مواقع شركات النفط في سبيل العمل فيها) حيث أنشأت لهم مساكن موقتة؛ بكلفة زهيدة «باستخدام الطوب الخرساني الرمادي المصنوع محلياً دون أي جبس أو طلاء». مرت قضية البدون عبر التاريخ بثلاث مراحل، حسب دراسة سابقة لفارس

حضور دلالات الهوية والانتماء إلى الكويت في نصوصهم

الكويتي يقدم من خلاله الأدباء في الكويت حسب الترتيب الزمني، بدءاً من عبد الجليل الطبطبائي (1776 - 1853). وضع الرّيد الأدب الكويتي ضمن السياق الثقافي العربي لإضفاء امتداد تاريخي له «لن تكون محتاجاً إلى جواز سفر ولا إلى بطاقة للعبور من الكويت إلى أي قطر من أقطار العروبة والإسلام... لك أن ترحل كيفما شئت... إنّ أحداً لن يسألك: من أين أنت قادم، ولماذا أنت مقيم... بقي الأمر على هذا النهج حتى الحرب العالمية الأولى». لكن لم يكن هناك تدوين لأدب البدون في التاريخ الأدبي الكويتي قبل عام 1979 مع أول مجموعة شعرية تحمل عنوان «الغناء في صحراء الألم» للشاعر سليمان الفليّح. وحين صدر في عام 2007 أول عمل شامل عن التاريخ الأدبي الكويتي لسليمان الشطي «الشعر في الكويت»، قدّم أدب البدون على أنه «أدب مجاور» و«نص مجاور». ما أثار غضب شعراء البدون حتى كتب الفليّح قائلاً: «ما يؤلمني أنه (يقصد الشطي) كان أحد شهود إزهار القصيدة، وكان يعرف تماماً أنّي لم أعبّر عن المشاركة في كل أمسية تحييها الرابطة طوال ثلاثة عقود متتالية، كما أنه لم تشفع لي عنده خمس مجموعات شعرية تتوزع في مكتبات الكويت، فأنا (عنده) ويا لعار التصنيف والفئوية التي كان يرفع شعاراته ضدها، لستُ كويتياً ولا حتى غير ذلك! مثلما اخترع من «عندياته» توصيفاً لزملائه الذين لا يحملون الجنسية لم يتوصل إليه حتى أشد العنصريين من الناس». تزامناً مع كتاب الشطي، نشرت سعدية مفرح كتاب «حداة الغيم والوحشة» (2007) وهو عبارة عن مختارات من الشعر الكويتي، لم تصنّف الشعر والشعراء تبعاً للمنظور الرسمي، أي أنها لم تميّز بين شاعر كويتي بالجنسيّة وشاعر عديم الجنسية، ما «سمح لشعراء البدون بأن يكونوا امتداداً طبيعياً وعضوياً للتاريخ الأدبي الكويتي».

في الفصل الرابع «نهاية العالم الصحراوي: البدوي الأخير، أول البدون»، يقدّم الكاتب مدخلاً لتصوّر الفضاء الصحراوي ضمن السياق العربي والفلسطيني على وجه الخصوص، بحيث يرى أنّ الصحراء تشكل فضاءً مرتبطاً بالهوية والتهجير، «تشارك الكتّاب الفلسطينيون والبدون على حد سواء تجربة التهجير وإن كانت مظاهره مختلفة. ثانياً، يكتب الكتّاب الفلسطينيون مثل كنفاني ونصر الله عن صحراء شبه الجزيرة العربية، وهي مساحة جغرافية وخيالية مشتركة مع البدون». يركّز الكاتب في هذا الفصل على تحليل قصائد من ديوان الفليّح الأول ليظهر أنّ الصحراء التي تُصوَّر عادة من قبل السرديات الرسمية على أنها «لاتاريخية»، هي بالنسبة إلى الفليّح «مكان لاستعادة التاريخ»، فيقول في قصيدة «رحلة نزوح: أحزان البدو الرحل»: «ها قومي انحدروا من مرتفعات الماضي - شهب الأعين - / تجلدهم ريح المستقبل نحو الواحات المأهولة بالأمطار/ ها هم مثل جراد القحط القادم من آخر إقليم في الدنيا/ جاؤوا وانتشروا في هذي الصحراء الرملية مثل الأحجار/ ها هم عند حدود الغيم الأزرق ناموا/ فتوسّد كل فقير منهم «عرفجة»».

يخصّص الربعي الفصل الخامس المعنون «صورة الخشيش في الرواية» لشخصية البدون ومساكنهم. لم تكن شخصية البدون حاضرة في الرواية العربية بين عام 1995 و2011 باستثناء «سماء مقلوبة» للروائي البدون ناصر الظفيري، و«ارتطام لم يسمع له دويّ» لبثينة العيسى. منذ عام 2011 «شهدت الروايات التي تصوّر شخصيات من البدون طفرة ملحوظة. وتعدّ رواية «ساق البامبو» لسعود السنعوسي الأكثر انتشاراً». يبحث الكاتب في هذا الفصل عن صورة الخشيش ويقوم بتحليل روايات عربية عدة؛ من بينها «في حضرة العنقاء والخل الوفي» لإسماعيل فهد إسماعيل التي كتبها بناء على يوميات الرسام الفلسطيني الراحل إسماعيل شموط خلال غزوِ الكويت، ورواية «الصهد» لناصر الظفيري، مستلخصاً أنه «ليس هناك قصة واحدة تختصر تجربة البدون التاريخية، بل سرديات متعددة وتجارب مختلفة وفقاً لفروقات الجنس والطبقة الاجتماعية والنزعات الشخصية». ما يسلّط الضوء على الروايات والتجارب الممنوعة لتجربة انعدام الجنسية داخل مجتمع البدون».

أما الفصل الأخير «عابرو الحدود: أبناء الكويت في المنفى»، فيطرح سؤال مكانة أدب البدون في سياق مفاهيم الأدب العالمي، وأهمية النشر المادي للبدون على وجه التحديد. على الرغم من فتح منصات إلكترونية عابرة للحدود مثل مجلة «أُفُق» التي أسسها النبهان في أونتاريو في كندا، إلا أنّ «هشاشة النشر الرقمي وصعوبة الحفاظ على أرشيف رقمي ثابت» أدّتا إلى اختفاء «أفق» وغيره من المواقع الثقافية العربية عن الإنترنت، ما أعاد الاعتبار للورق، وخصوصاً أنّ الورق بالنسبة إلى البدونْ يرمز إلى الاعتراف والوجود والانتماء.

في ظل تجاهل الدراسات الأكاديمية لإنتاج المعرفة حول البدون، يعدّ كتاب «أدب عديمي الجنسية في الخليج» عملاً يسعى إلى قراءة وتحليل نتاج البدون الثقافي بهدف فهم هذا المجتمع من منظور يختلف عن الرؤية القانونية والرسمية وحتى الأنثروبولوجية. يوضح هذا البحث إصرار البدون في الشعر والرواية على مقاومة التغييب الرسمي لوجودهم من خلال بروز دلالات الهوية والانتماء إلى الكويت في نصوصهم.

قصة

ساري موسى: محاولات للهروب من الواقع

داوود مهنا

يطرح ساري موسى في مجموعته القصصية «تعزيات الفشل» (دار التنوير للطباعة والنشر) مجموعة من الأسئلة المستفزّة والملحّة التي تتعلّق بقضيّة الكتابة وقلقها ويوميّات المبدع بعامّة، وبالنّقد والسّخرية والتحام الواقع بالخيال وما إلى ذلك.

تضم المجموعة ثماني وعشرين قصّة قصيرة. وعلى الرغم من استقلاليّة كلّ قصّة، إلا أن بعض قصص المجموعة تحمل أكثر من خيط سرديّ خفيف يربطها بشكل عامّ، ويجعلها قريبة من السّرد الرّوائيّ نوعاً ما. وهذا يدفع المتلقي إلى عدّ بعض قصص «تعزيات الفشل» بمثابة متواليات سرديّة.

المتتبّع قصص هذه المجموعة، يلمح حصاناً يعدو من أول قصّة إلى آخر قصّة، وهذا الحصان يتعثّر كثيراً بحواجز متوقّعة وغير متوقّعة، يضعها مرّة الوضع الاقتصاديّ الصّعب، ومرّة الوضع الاجتماعيّ المتأخّر نسبيّاً، ومرّة السّلطة الّتي بدت متخفّية وراء أحداث كثيرة. وكلّما تعثّر ذلك الحصان، نهض محاولاً إكمال سيره من أجل الوصول نحو الهدف. ولكنّ هذا الحصان هل سيصل إلى هدفه ما دام العنوان الذي انطلق منه هو «الفشل»؟

يُعنى ساري موسى برصد الحالة الإبداعيّة ووصف عالم الكتابة الحقيقيّ والتّخييليّ، كما يستعرض بعض طرائق الكتابة مُظهراً صعوبات هذه الحرفة التي ينشغل أصحابها بهواجسهم المتعلّقة بالحياة عامّة، والشّهرة بخاصّة. يركّز في تصوير عالم الكتابة وتجسيد القلق الذي يعتري الكاتب. يرصد عمليّة الكتابة نفسها، ويبرز بعض مراحلها أحياناً، إلى أن يصبح النّصّ عملاً إبداعيّاً، سواء بطريقة ساخرة أم غير ساخرة، فتظهر الميتاسرديّة في معظم قصص هذه المجموعة، وهذا يعطي النّصّ بُعداً فنّيّاً جماليّاً من خلال رصد بعض المشكلات التي يعانيها السّارد نفسه. يرصد معاناة المبدعين، ويصوّر واقعهم المرّ، ويبيّن انشغالاتهم اليوميّة، وصراعهم السّيزيفيّ مع الكتابة وكلّ ما يتعلّق بها من نشر ومتلقّين وجوائز إبداعيّة..

وأحياناً يعمد ساري موسى إلى تحويل الميتاسرديّة إلى ما يشبه اليوميّات للكاتب الذي يشغله الصّراع مع الحياة الخارجيّة حيناً، ومع ذاته حيناً آخر. وفي النّهاية، يلجأ الكاتب إلى الانطواء على ذاته في عزلة خاصّة وعالم خاصّ متعالٍ على العالم الموضوعيّ الخارجيّ. ولم يكتفِ ساري موسى بسبر عوالم الذّات والعالم الخارجيّ الموضوعيّ، بل انطلق إلى عالم الكتابة السّرديّة ليطرح أسئلة تتعلق بالقلق اليوميّ من جهة، وقلق الكتابة من جهة أخرى.

وتتطلّ الميتاسرديّة في عدد من القصص. ففي قصّة «قبل النّهاية» يضع الكاتب مقدّمة قصيرة تبيّن طريقة كتابة هذه القصّة. وفي قصّة «الكسالى» يقول إنّه يكتب كتابات هي عبارة عن محاولات ليس راضياً عنها. وفي قصة «المؤلف»، يخلق الشّخصيّات ويبنيها ويضعها ضمن زمان ومكان معيّنين ثمّ يفلتها على الورق في اللّحظة المناسبة..

وبما أنّ عنوان المجموعة هو مدلول مرتبط بصورة ذهنيّة معيّنة، يظهر الدّالّ/ الفشل في الكسالى الفاشلين في تحقيق أهدافهم. كما يظهر في «تصحيح خطأ النّشر»، وهو فشل الكاتب في الوصول إلى تحقيق أهدافه أيضاً. و«الشاعر» يفشل في الكتابة، فيحاول النهوض عبر نشر ما كتبه. كما يظهر تقمُّص صورة دون كيخوت الذي تأثر بروايات الفروسيّة وحاول تطبيقها في الواقع ففشل في الكسالى الفاشلين التي زرعتها فيه الكتب الحمقاء التي يقرأها منذ طفولته». تلك الكتابات أثّرت في شخصيّته فجعلته مخبولاً وأصمّ لا عالمه الخاصّ بعيداً من عالم مَن حوله.... وغيرها من الأحداث الّتي تنتهي إلى فشل بطلها. تظهر في بعض الأحداث التّفاصيل الحياتيّة اليوميّة، فعندما يتكلم الرّاوي عن جدّه في قصة «الكسالى»، يسرد التفاصيل الدّقيقة التي كان يفعلها جدّه في دكّانه «يخيط الشراويل للرّجال، البنطلونات للشبّان، الفساتين للنّساء، وثياب العيد ومراويل المدارس للأولاد.. اكتفى بتبديل السّحّابات التي خرجت عن سكّتها، وتثبيت الأزرار المخلوعة، وتطويل سيقان البنطلونات كي تلحق بسيقان لابسيها..». تلك التّفاصيل تكشف الوضع الاجتماعيّ لقرية فقيرة تمثّل مجتمعاً كاملاً.

لا تخلو المجموعة من النّقد والسّخرية؛ ففي قصّة «الشّاعر»، يسخر من الكتّاب الجدد الذين يتّبعون ما يسمّى بموضة الكتابة. وفي «مصيدة» يسخر من كتّاب المدينة الّذين يجلسون في مقاهي الكتّاب بازدحام منتشر بين الطّاولات الصّغيرة المستديرة «قرّرت التّوجّه إلى المدينة، لأجلس في واحد من مقاهي الكتّاب وأجرّب للمرّة الأولى، لكثرة ما قرأت عنه وحضرت مسلسلات تصوّره في الفترة الأخيرة».

وللمرأة حضور لافت في معظم القصص، إذ تظهر المرأة الحبيبة في قصة «النّصيحة»، يأتي عطرها عبر كتاب ملفوف يحمله أحد الصّبية، وكانت علاقة الحب قد بدأت من خلال الحديث عبر الماسنجر. وتتوالى المشاهد في قصة «إلى اللّقاء الأحد»، وقصة «دموع غير قابلة للفهم». يظهر البحث عن المرأة الحبيبة في قصة «المرأة التي تحبني»، إذ يقول: «المرأة التي تحبني، أهي سيدة مرموقة، مكسوّة بالحرير والدانتيل والحلي، تحلم بغرامياتنا، ممددة على أريكة مخدع؟».

تستحقّ نصوص «تعزيات الفشل» الوقوف أمامها ملياً، وقد حاول كاتبها أن يأتي بالجديد المدهش - وهو الذي يحمل في ذاته هاجس الإبداع - فظهر فيها ذلك القلق الأدبي الذي ينزع دائماً نحو تجاوز الرّاهن.

لا تخلو المجموعة من النّقد والسّخرية

رواية

فاتن المرّ: الكتابة كضوءٍ عند ناصية التاريخ

كميل حمادة

«في رواية تاريخيّة نحكي أيضاً من أجل تنوير النّاس وإخبارهم بما حدث، ومن أجل الإشارة إلى أن هذه الأحداث البعيدة لها أهميتها راهناً». تذهب رواية فاتن المر «حيث يبدأ الصدع» (دار فكر للأبحاث والنشر 2023) أبعد بكثير من هذه المقولة لأمبرتو إيكو في كتابه «آليات الكتابة السرديّة». تتجاوز التاريخيّة في الرواية إلى الأدبيّة، وفكرة أهميّة الأحداث التاريخيّة في صياغة الحاضر، لتحاول أن تمسح عنها «غبار 1918» وما تلاه لتبين دورها في تشكيل القادم والزّمن التالي، وتضع الكتابة نوعاً من العلاج النفسي الفردي (من خلال شخوص الرواية) والجماعي، لما يذهب في تأصيل صدع الأمة أيضاً في مفهومها الأوسع، الأمة العربيّة منذ بداية التاريخ الإسلامي إلى ما هي عليه اليوم»؟ أم تهدي روايتها إلى أدونيس الصغير حفيدها الذي ترمز من خلاله إلى أنّها تكتب روايتها للجيل القادم كي يستطيع أن يكتشف أسباب الصدع في تاريخ أمته؟

حين تقرأ الرواية، تجد نفسك أمام تداعيات حرّة منفصلة لمجموعة من الشخوص: «ناجي» الناجي من انفجار بيروت وأزمة لبنان الاقتصاديّة والاجتماعيّة وتداعيات حراك 17 تشرين الذي لم ينجُ من تداعيات نفسيّة دفعته إلى زيارة طبيب نفسي عالجه بتحريض ذاكرته عبر صور وجمل وكلمات ونصحه بالكتابة، و«غيداء» الصبيّة الثوريّة في تشرين التي جمعتها التظاهرات والأحلام بالتغيير بناجي، فأحبّته وأحبّها ثمّ فتر شعوره مع تفاقم أزمته النفسيّة، و«جانيت» التي تشتغل في أعمال الإغاثة في انفجار المرفأ ثم في أعمال الإغاثة من تداعيات الأزمة الاقتصاديّة والتي كانت تتابع ناجي منذ طفولته حين تعرفت إليه مع جدته حيث التقتهما حين كان طفلاً يرافق جدّته إلى خيم اعتصام أمهات المفقودين في الحرب الأهليّة، إذ فقد والده على أحد الحواجز. هي كانت تبحث عنه وعنها لأنها انخرطت يوماً مع تفاقم الأزمة في أعمال الإغاثة في انفجار المرفأ ثم في مشكلات الأمة جاء آخراً في العنوان، كأن الأمة دائماً تقبع بين صدعين. إنّه صدع متجدّد بلا نهاية، تاريخ هذه الأمة لا يشكل الإهداء كعتبة نصيّة أمراً عابراً. ماذا يعني أن تهدي فاتن المر روايتها إلى أدونيس؟ هل هو أدونيس إله البعث ورمز النهوض من الموت في التاريخ السوري القديم؟ أم هو أدونيس الشاعر المعاصر والمفكر الكبير (الذي قد تهديه روايتها لا لأنّه مفكر كبير فحسب، وليس لأنّه ما زال يقرأ التاريخ بعين فيها الكثير من الانتماء الثقافي لأنطون سعادة، بل لأجل هذا ولأن أدونيس يذهب في تأصيل صدع الأمة أيضاً في مفهومها الأوسع، الأمة العربيّة منذ بداية التاريخ الإسلامي إلى ما هي عليه اليوم»؟ أم تهدي روايتها إلى أدونيس الصغير حفيدها الذي ترمز من خلاله إلى أنّها تكتب روايتها للجيل القادم كي يستطيع أن يكتشف أسباب الصدع في تاريخ أمته؟

حين تقرأ الرواية، تجد نفسك أمام تداعيات حرّة منفصلة لمجموعة من الشخوص: «ناجي» الناجي من انفجار بيروت وأزمة لبنان الاقتصاديّة والاجتماعيّة وتداعيات حراك 17 تشرين الذي لم ينجُ من تداعيات نفسيّة دفعته إلى زيارة طبيب نفسي عالجه بتحريض ذاكرته عبر صور وجمل وكلمات ونصحه بالكتابة، و«غيداء» الصبيّة الثوريّة في تشرين التي جمعتها التظاهرات والأحلام بالتغيير بناجي، فأحبّته وأحبّها ثمّ فتر شعوره مع تفاقم أزمته النفسيّة، و«جانيت» التي تشتغل في أعمال الإغاثة في انفجار المرفأ ثم في مشكلات الأمة جاء آخراً في العنوان، كأن الأمة دائماً تقبع بين صدعين. إنّه صدع متجدّد بلا نهاية، تاريخ هذه الأمة لا يشكل الإهداء كعتبة نصيّة أمراً عابراً. ماذا يعني أن تهدي فاتن المر روايتها إلى أدونيس؟ هل هو أدونيس إله البعث ورمز النهوض من الموت في التاريخ السوري القديم؟ أم هو أدونيس الشاعر المعاصر والمفكر الكبير (الذي قد تهديه روايتها لا لأنّه مفكر كبير فحسب، وليس لأنّه ما زال يقرأ التاريخ بعين فيها الكثير من الانتماء الثقافي لأنطون سعادة، بل لأجل هذا ولأن أدونيس يذهب في تأصيل صدع الأمة أيضاً في مفهومها الأوسع، الأمة العربيّة منذ بداية التاريخ الإسلامي إلى ما هي عليه اليوم»؟ أم تهدي روايتها إلى أدونيس الصغير حفيدها الذي ترمز من خلاله إلى أنّها تكتب روايتها للجيل القادم كي يستطيع أن يكتشف أسباب الصدع في تاريخ أمته؟

حين تقرأ الرواية، تجد نفسك أمام تداعيات حرّة منفصلة لمجموعة من الشخوص: «ناجي» الناجي من انفجار بيروت وأزمة لبنان الاقتصاديّة والاجتماعيّة وتداعيات حراك 17 تشرين الذي لم ينجُ من تداعيات نفسيّة دفعته إلى زيارة طبيب نفسي عالجه بتحريض ذاكرته عبر صور وجمل وكلمات ونصحه بالكتابة، و«غيداء» الصبيّة الثوريّة في تشرين التي جمعتها التظاهرات والأحلام بالتغيير بناجي، فأحبّته وأحبّها ثمّ فتر شعوره مع تفاقم أزمته النفسيّة، و«جانيت» التي تشتغل في أعمال الإغاثة في انفجار المرفأ ثم في مشكلات الأمة جاء آخراً في العنوان، كأن الأمة دائماً تقبع بين صدعين. إنّه صدع متجدّد بلا نهاية، تاريخ هذه الأمة لا يشكل الإهداء كعتبة نصيّة أمراً عابراً. ماذا يعني أن تهدي فاتن المر روايتها إلى أدونيس؟ هل هو أدونيس إله البعث ورمز النهوض من الموت في التاريخ السوري القديم؟ أم هو أدونيس الشاعر المعاصر والمفكر الكبير (الذي قد تهديه روايتها لا لأنّه مفكر كبير فحسب، وليس لأنّه ما زال يقرأ التاريخ بعين فيها الكثير من الانتماء الثقافي لأنطون سعادة، بل لأجل هذا ولأن أدونيس يذهب في تأصيل صدع الأمة أيضاً في مفهومها الأوسع، الأمة العربيّة منذ بداية التاريخ الإسلامي إلى ما هي عليه اليوم»؟ أم تهدي روايتها إلى أدونيس الصغير حفيدها الذي ترمز من خلاله إلى أنّها تكتب روايتها للجيل القادم كي يستطيع أن يكتشف أسباب الصدع في تاريخ أمته؟

حين تقرأ الرواية، تجد نفسك أمام تداعيات حرّة منفصلة لمجموعة من الشخوص: «ناجي» الناجي من انفجار بيروت وأزمة لبنان الاقتصاديّة والاجتماعيّة وتداعيات حراك 17 تشرين الذي لم ينجُ من تداعيات نفسيّة دفعته إلى زيارة طبيب نفسي عالجه بتحريض ذاكرته عبر صور وجمل وكلمات ونصحه بالكتابة، و«غيداء» الصبيّة الثوريّة في تشرين التي جمعتها التظاهرات والأحلام بالتغيير بناجي، فأحبّته وأحبّها ثمّ فتر شعوره مع تفاقم

تجري الرواية في أرض الصدع: لبنان

في تحقيق ما يريد، وهو ليس حقيقة إلا حلم ناجي بتغيير حال أمته ورأب صدعها، والرجل الغريب الذي يتسلل إلى حياة ناجي ويعبث بها وبمكتبته وكتبها ويكتب في دفتر أزرق ذكريات ومذكرات... كأن كل الشخوص في الرواية شخص واحد، إنّه حال الأمة التي فقدت هويتها وصارت هويات متناقضة، ناجي هو الأمة كلها وقد تشظت.

أما المكان فهو الصدع. تجري الرواية في أرض الصدع: لبنان، وتحديداً بيروت، وتتشعّب الأماكن إلى فلسطين وسوريا بما يخدم هذا الصدع.

وتتوالى في الرواية أزمات عدة لكنها تتوحّد في تعدّدها: زمان سايكس بيكو، زمان الحرب الأهليّة، زمان حراك تشرين، زمان انفجار المرفأ، وكلها يعبّر عنها شخوصها «باطول ليلة في السنة» كأنّ كل هذه الأزمة زمان واحد ممتدّ ويطول ويستمر... كأنّ هذا الزمان هو أطول ليل في تاريخ الأمة. تقول فاتن المر في الرواية: «سأنصب خيمتي عند ناصية التاريخ وأكتب حتى تمرّ بي الأجيال وتنهل من ينابيع معرفتي. لتلك الأجيال أكتب، للجرح الذي سوف تحمله دون أن تدري، لعلاقتها الملتبسة بهويتها وتاريخها، لصدع يصعب أن تلتحم ضفتاه». ورغم انتمائها الحزبي والأيديولوجي، فإنّ ذلك لم يتحوّل عبئاً على أدبيّة روايتها، بل على نقيض ذلك تماماً، كانت أيديولوجيا فاتن عنصراً مساعداً لا مناوئاً في أدبيّة روايتها.

نخرج من رواية فاتن المر أكثر إيماناً بالكتابة التي تساعدنا - حين يخضّنا هول الخراب وعمق الصدع - في أن نبقى ونشعل أقلامنا حطباً في برد الطريق وعتمته، الطريق إلى الضوء القادم في نهاية الصدع.

أوراق

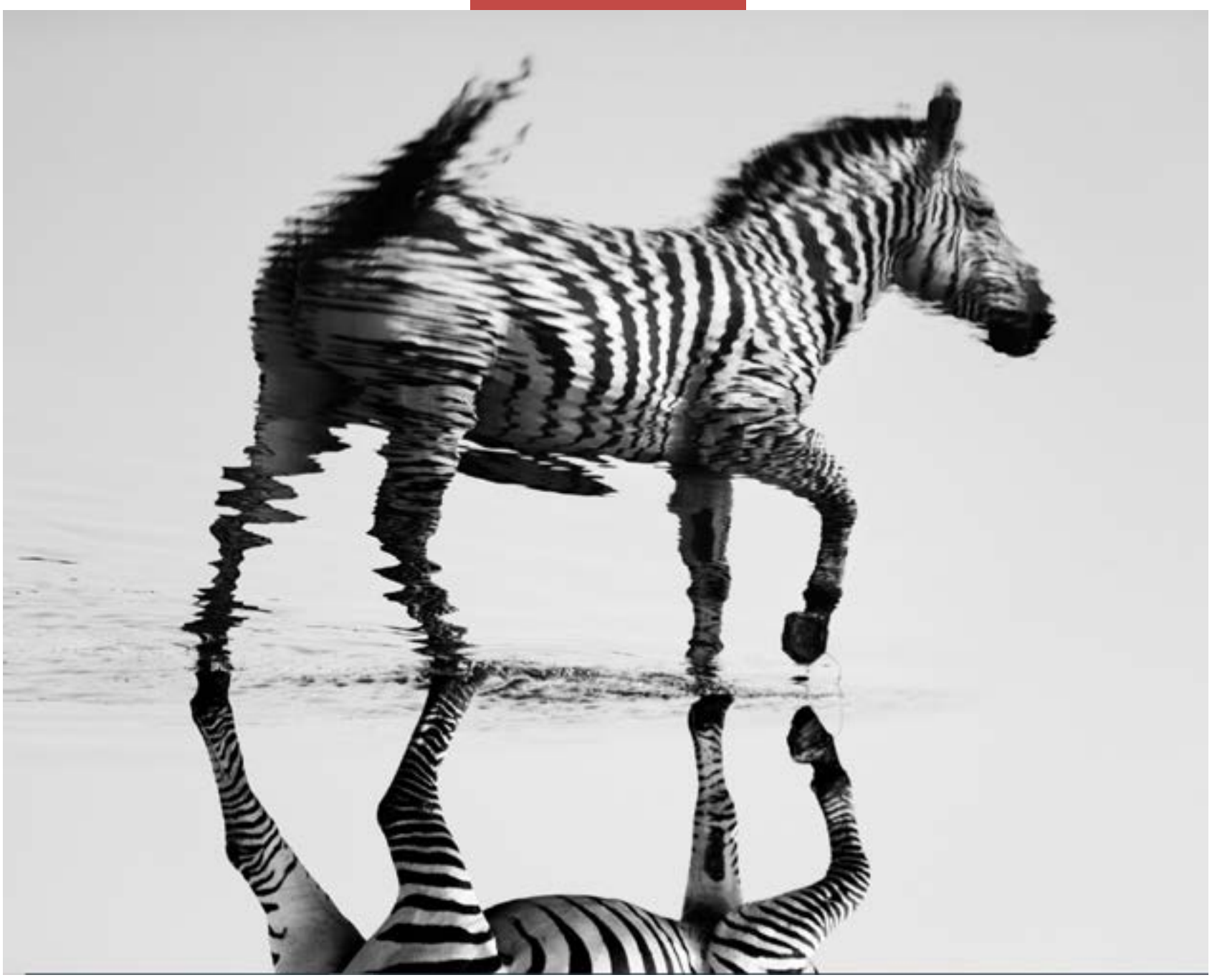

حمار الوحش يمثل طرازاً من الآلهة القديمة في التوراة وخارجها (كريستيان كرافو ـ «انعكاس حمار وحشي 11»/ 2012)

جريمة الابن البكر

زكريا محمد *

في المعتقدات القديمة، يكرَّس الابن البكر، أي فاتح الرحم، سواء كان بكر إنسان أو بكر حيوانات، لله. وهو يفدى بكبش. جاء في سفر الخروج في التوراة: «لي كل فاتح رحم، وكل ما يولد من مواشيك بكراً من ثور وشاة. وأما بكر الحمار فتفديه بشاة. وإن لم تفده تكسر عنقه. كل بكر من بنيك، تفديه ولا يظهرون أمامي فارغين» (خروج 34:19-20). وفي مكان آخر، يضيف سفر الخروج: «لي كل فاتح رحم من الناس والبهائم، إنه لي» (خروج 13: 2). أما في إنجيل لوقا، فقد ورد عن ميلاد الرب يسوع من العذراء مريم: «كما هو مكتوب في ناموس الرب أن كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوساً للرب» (لو 2: 23).

والسؤال هو: لماذا يكون فاتح الرحم على وجه الخصوص، أي الولد الأول عند الإنسان والحيوان، مكرّساً لله؟ ثم لماذا يجب أن يفدى بكبش؟ وما هو الذنب الذي ارتكبه، أو ما هي الجريمة التي صنعها وتطلبت فداءه؟

وللرد على السؤال الأخير، أقول إنه يبدو بالفعل إنّ الابن البكر (مجرم ما) وأنه لهذا يفدى بحيوان. صحيح أنه يحتفى بقدوم الولد البكر عادة، لكنه مجرم مع ذلك. فما هي جريمته إذن؟

والجواب: جريمته أنه سفك دم أمه. بخروجه من الرحم، يكون قد أسال دم هذه الأم. أي سفك دمها. وسفك الدم هو الجريمة الكبرى. ذلك أن الدم هو الروح، هو النفس: «لأن الدم هو النفس، فلا تأكل النفس مع اللحم» (تثنية 12: 25). بالتالي، فهو كمن قتل نفساً. والقاتل يقتل. ولهذا كان على الولد البكر أن ينجو من القتل من خلال فدائه بحيوان: «كل بكر من بنيك تفديه». الكبش تطهير له من جريمته، جريمة جرح الأم وفتح طريق الدم في رحمها. من أجل هذا، كان يمنع عند بعض الشعوب التزاوج بين أبناء وبنات العشيرة لأن الزواج سفك لدم القريبة، أي دم العذرية. وسفك دم القريبة جريمة. وما زال شعب الأورمو في أثيوبيا يمنع زواج الأقارب حتى الجد السابع. لذا، فعلى من يريد أن يتزوج، أن يأخذ امرأة من قبيلة أخرى ليس له معها جد سابع مشترك. فسفك دم امرأة من قبيلة أخرى ليس جريمة كبرى مثل سفك دم ابنة القبيلة.

وجريمة سفك دم العذرية من خلال الزواج تشبه جريمة سفك دم الأم من خلال الولادة. فالابن الأول بخروجه من الرحم، يسفك دم أمه. وهذه جريمة لا جريمة أعلى منها. لهذا عليه أن يكفّر عن جريمته وأن يفدى بحيوان، ثم أن يكرّس لله. أما من يأتون بعده فلا يعاقبون، فليسوا هم من فتح طريق الدم. فاتح الطريق هو المجرم حتى لو لم يتقصد جريمته.

لكن لماذا يكرس الولد البكر لله بعد ذلك؟

يكرس لله لأن الحيوان الذي فدي به هو حيوان الله. الثور حيوان الله وتجسيده. والكبش حيوان الله وتجسيده. وإسماعيل فُدي بكبش. كما أنّ إسحق فُدي بكبش. كما أنني أفترض أن عبد الله والد النبي محمد فُدي بكبش. كل الذبحاء يفدون بكبش، أو خروف، أو حيوان آخر كالثور. والكبش من عند الله. فهو حيوانه. لذلك عندما تساءل إسحق: «هوذا الحطب والنار، ولكن أين الخروف للمحرقة؟» ردّ إبراهيم: «الله يرى له الخروف للمحرقة يا بني» (تكوين 22: 7-8). الكبش لله، والخروف لله، وهو من يحضره ليفدي الذبيح. ومن أجل أن يصير الذبيح ملكاً لله، مكرساً له.

> لي كل فاتح رحم من الناس والبهائم، إنه لي (خروج 13: 2)

لكن لماذا يفدى الابن البكر للحمار مثلما يفدى بكر الإنسان: «أما بكر الحمار فتفديه بشاة»؟ لماذا يوضع في موضع الإنسان؟ فلا يفدى بكر الضأن والماعز والثيران وغير ذلك؟ أما ابن الحمار فيفدى بشاة، كما هو حال الإنسان.

والجواب: يفدى بكر الحمار مثل بكر الإنسان لأنه مثيل للإنسان. إنه إنسان بشكل ما. لذا وصف عيسو ابن يعقوب البكر، أو العيص حسب المصادر العربية، بأنه «فرا-آدم»، أي إنسان- حمار: «وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَاناً وَحْشِيّاً، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ» (تكوين: 14:12). أما جملة «إنساناً وحشياً» فهي في الأصل «فرا- آدم»، أي: حمار- إنسان. لكن الجملة تترجم خطأ إلى «إنساناً وحشياً». ولأن الابن البكر للحمار مشابه للإنسان، فإن الطرفين يفديان بالطريقة ذاتها.

والأصل في هذا أن حمار الوحش يمثل طرازاً من الآلهة القديمة في التوراة وخارجها. نعم، الحمار تجسيد لهذا الطراز من الآلهة. وبما أن الإله يتجسد في حمار، فابن هذا الإله يجب أن يكون أيضاً حماراً. لأنه كما يكون الأب يكون الابن. وحين يكرس فاتح الرحم من البشر لهذا النوع من الآلهة، فإنه يكون قد صار حماراً وإنساناً معاً كما هو حال عيسو. لهذا فقد أخبرنا الشهرستاني في «الملل والنحل» أن سقراط قال في ألاغيزه: «إذا أردت أن تكون ملكاً، فكن حمار وحش».

الملك هو حمار الوحش. وهو ملك لأنه يمثّل ملكاً/ إلهاً.

عليه، فالحمار ليس قليل الشأن كما تظنون. إنه كائن مقدس رغم ما يتبدى غير ذلك.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 22 Juillet 2023 no73
السبت 22 تموز 2023 العدد 73

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

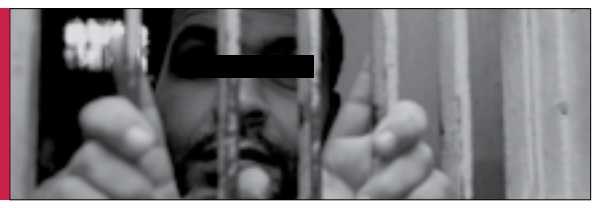

«جمعية» الوزير للسجون

[2 - 3]

الذكاء الاصطناعي في نظام العدالة.. تهديد أم فرصة؟

[6 - 8]

التحقيقات الجنائية ليست NETFLIX

[4 - 5]

(من الويب)

في العمق

«جمعية لتاهيل السجون واجهة لوكر فساد. ابطالها سياسيون ورؤساء اجهزة امنية ورجال مصارف» عنوان تداوله احد المواقع الإخبارية اللبنانية الإلكترونية في حزيران المنصرم. مرفقاً بمقطع مصوّر للناشطة نادين بركات، كشفت فيه بالوثائق عن تواطؤ بين جمعية المصارف والجمعية اللبنانية لتاهيل السجون، «سهّل سرقة أموال المودعين وساهم بزيادة هدر المال العام». اطلعت «القوس» على الوثائق

«جمعية» الوزير لتأهيل السجون؟

بشرى زهوة

في 15 تموز 2014، اجتمع الوزير نهاد المشنوق مع رئيس مجلس بلدية بيروت برئاسة بلال حمد الذي قدّم مساهمة بمبلغ مليازي ليرة لإعادة تاهيل السجون. وقال حمد بعد اللقاء إن المجلس البلدي رأى أنّ أهداف الجمعية تتناسب مع أهداف بلدية بيروت لجهة حماية المجتمع من الجريمة وتاهيل السجون وتدريب السجناء ليكونوا جاهزين للانخراط في المجتمع في الحياة الجديدة بعد الخروج من السجن (وفق بيان على موقع وزارة الداخلية والبلديات اللبنانية). ليقوم وزير الداخلية «رئيس الجمعية الخاصة»، بالتوقيع على معاملة موضوعها: «إعطاء الجمعية اللبنانية لتاهيل السجون مساهمة مالية دعماً لأنشطتها/ بلدية بيروت» بتاريخ 31 كانون الأول 2014. بالتكافل مع محافظ مدينة بيروت القاضي زياد شبيب الذي وقع بالتاريخ نفسه «مع الموافقة على الصرف». وبهذا يكون الوزير قد تبرّع لجمعية خيرية يترأسها من أموال الدولة بمليارَيْ منه. لكن قبل كل ذلك نسأل: هل صُرفت الأموال التي جمعتها الجمعية اللبنانية لتاهيل السجون على تحسين أوضاع السجون فعلاً والتخفيف من معاناة السجناء ودويهم والحراس؟

نعرض في ما يلي تسلسل أحداث ووقائع موثّقة، تفتح آفاقاً للسجناء المحكومين والموقوفين، الذين يعيشون على أمل بإصلاح وتاهيل السجون وأماكن التوقيف، وتكريس حقّهم في أن يعاملوا بما يلزم من الاحترام لكرامتهم وقيمتهم المتأصلة كبشر (تطبيقاً لقواعد الأمم المتحدة النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء «قواعد مانديلا»)، للمطالبة بحقوقهم من الأموال المخصصة لهم من الجمعية اللبنانية لتاهيل السجون. ولربما تجيب أيضاً غالبية اللبنانيين عن مصير أموالهم.

غاية شريفة او استغلال؟

تاسست جمعية باسم: «الجمعية اللبنانية لتاهيل السجون» مركزها: بيروت، بناء على المرسوم الرقم 11217 تاريخ: 2014/2/15، وحازت على علم وخبر الرقم 448 تاريخ: 2014/3/22، نُشر العلم والخبر في العدد 13 من الجريدة الرسمية بتاريخ 2014/3/27.

جاء في المادة الأولى من النص، أسماء المؤسّسين كالتالي:

- وزارة الداخلية والبلديات، ممثلة بشخص الوزير.
- الأمانة العامة لمجلس الوزراء، ممثلة بشخص الأمين العام.
- المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي، ممثلة بشخص المدير العام.
- المديرية العامة للأمن العام، ممثلة بشخص المدير العام.
- ممثل الجمعية تجاه الحكومة: وزير الداخلية والبلديات.

كما ذُكرت في المادة عينها أهداف هذه الجمعية كالآتي:

1- العمل على تاهيل السجون اللبنانية وتحسين وضعها.

2- تأمين الإرشاد الصحي والإجتماعي للسجناء ومساعدتهم معنوياً وتوفير التعليم والتدريب لهم من خلال إقامة دورات محو أمية وأشغال يدوية واعمال حرفية داخل السجون.

3- السعي إلى تعديل القوانين المتعلقة بالسجون والسجناء والشؤون الأمنية والعمل على تطوير النظم العقابية في لبنان لتتوافق مع الاتفاقات الدولية لمنع التعذيب.

كذلك كرّست هذه المادة الحق للجمعية بتلقي الهبات والمساعدات في سبيل تحقيق أهدافها.

أقدمت الجمعية المذكورة أعلاه على فتح حساب في بنك بيبلوس. لتقوم مسؤولة الامتثال سيلفي حويك، بحسب الوثائق التي نشرتها بركات، بإرسال بريد إلكتروني بتاريخ 3 نيسان 2014 لمساعد المدير العام ورئيس قسم المالية الآن وَنّا لطلب الموافقة على فتح هذا الحساب، مع الإشارة له بأن يأخذ في الحسبان أن هذا الحساب مرتبط بالحكومة اللبنانية ومصنّف على أنه خاص بأشخاص مكشوفين سياسياً (PEP). وهذه الحالة تحتاج إلى دراسه لمعرفة ما إذا كان هذا الحساب سيؤثر على سمعة المصرف ويلحق به المخاطر. لكن الغريب بالأمر أن رد وَنّا جاء بعد دقيقتين بالموافقة على فتح الحساب في أسرع وقت ممكن.

> تبرّع الوزير من اموال الدولة إلى جمعية خيرية لتاهيل السجون يترأسها

أراد وزير الداخلية السابق نهاد المشنوق حينها، وفق تصريحات له، تاسيس الجمعية بصفته الوزارية، بحيث تنتقل الجمعية بمهامها إلى وزير الداخلية الذي يأتي بعده. لكن تبيّن في ما بعد أن هذه الجمعية خارجة على القانون وفق قانون تاسيس الجمعيات الذي يمنع مثل هذا الأمر، ولا يمكن أن تبقى قائمة ولا أن يستمر حسابها المصرفي باسماء أشخاص لا يملكون شخصية معنوية منفصلة عن شخصية الدولة. (راجع «الأخبار»، 3 أيلول 2014، «الدولة الموازية تريد إصلاح السجون»). وصدر القرار الرقم 1256 تاريخ: 2014/6/26، القاضي بحل الجمعية المسمّاة: «الجمعية اللبنانية لتاهيل السجون» ونُشر في العدد 29 من الجريدة الرسمية بتاريخ: 2014/7/10.

استعان الوزير المشنوق بعد ذلك، على ما يبدو، بابنته المحامية ثريا وبعض موظفي بنك بيبلوس، لاعتماد دبياجة جديدة لإمكانية فتح حساب ثان للجمعية بأسماء الأفراد الحقيقيين أي بصفة شخصية حتى لا يضطروا إلى فتح الحساب في مصرف لبنان وكي لا تكون الجمعية خاصة بالدولة وخاضعة للرقابة المباشرة.

فتأسست الجمعية من جديد باسم: «الجمعية اللبنانية لتاهيل السجون (Lebanese Prisons Reform Association LPRA) مركزها: بيروت». بموجب علم وخبر الرقم 1258 تاريخ: 2014/6/18، ونُشر العلم والخبر في العدد نفسه من الجريدة الرسمية مع قرار حلّ الجمعية الأولى بتاريخ: 2014/7/10.

وجاءت أسماء المؤسسين في المادة الأولى كالتالي:

- الوزير نهاد المشنوق.
- د. فرانسوا باسيل.
- غرفة التجارة والصناعة في بيروت وجبل لبنان، ممثلة بشخص رئيسها الأستاذ محمد شقير.
- ممثل الجمعية تجاه الحكومة: الأستاذ محمد شقير.

كما أضيف إلى الأهداف في نص المادة الأولى من الجمعية الأولى المحلولة، ثلاثة أهداف جديدة:

- تامين استشاريين تقنيين لبنانيين وأجانب لإعداد دراسات وتنفيذ مشاريع تستلزمها احتياجات السجون وإدارات وزارة الداخلية والبلديات.
- المساعدة والرعاية والمساهمة في معالجة آفات السجون والمساجين.
- تعمل الجمعية من أجل تحقيق نشاطاتها وأهدافها إمّا مباشرة، أو عن طريق التعاون والتنسيق مع المؤسسات الرسمية والخاصة، والمنظمات غير الحكومية، سواء في لبنان أو الخارج أو عن طريق خلق مؤسسات أو مشاريع اجتماعية جديدة.

كذلك كرّست هذه المادة الحق للجمعية بامتلاك العقارات والأموال المنقولة وغير المنقولة، والتصرف بها بجميع الطرق القانونية وإجراء جميع الأعمال المالية والاقتصادية والقانونية من دون استثناء او تمييز بين الأعمال الإدارية والتصرفية.

وفي اليوم التالي، بتاريخ 2014/7/11، وُزّعت المهام على أعضاء الهيئة الإدارية الأولى للجمعية، في الإفادة الموقعة من المدير العام للشؤون السياسية واللاجئين في وزارة الداخلية والبلديات فاتن يونس، على الشكل الآتي:

- الوزير نهاد المشنوق، رئيساً.
- الدكتور فرنسوا باسيل، نائباً للرئيس (كان رئيساً لجمعية المصارف آنذاك).
- رئيس غرفة التجارة والصناعة في بيروت وجبل لبنان، أميناً للسر ومُمثلاً عن للجمعية تجاه الحكومة. (لم يكن وزيراً بعد).
- الرئيس لمجلس القضاء الأعلى السابق القاضي جان فهد، عضواً.
- المدعي العام التمييزي القاضي سمير حمود، عضواً.
- الأمين العام لمجلس الوزراء السابق الدكتور سهيل بوجي، عضواً.
- المدير العام للأمن العام السابق اللواء عباس إبراهيم، عضواً.
- المدير العام لقوى الأمن الداخلي السابق اللواء إبراهيم بصبوص، عضواً وأميناً للصندوق.

وعليه فُتح حساب جديد للجمعية «الجديدة» في بنك بيبلوس حمل الرقم: 4856995.

فهل حقّق أي من الأهداف الستة المنصوص عليها لهذه الجمعية؟ وهل تُرجمت الرؤية المشتركة لمجلس بلدية بيروت مع رئيس الجمعية لتمكين التنفيذ الفعّال لتحقيق أهدافها؟ للاطلاع أكثر على مصير هذه الأهداف وواقع السجون في لبنان اليوم: (راجع «القوس»، 18 آذار 2023، «حاجات للبقاء»).

باب التبرّع مفتوح

في مداخلة هاتفية له في أحد البرامج التلفزيونية، في آذار 2020، قال المشنوق: «الجمعية اللبنانية لتاهيل السجون، بعدها موجودة وهي جمعية خاصة تشكّلت أيام وجودي بوزارة الداخلية، والليلة بعد التشاور مع اللواء بصبوص (..) أخذنا قرار بأن نتبرع بمليون دولار لمراكز الاحتجاز أو النظارات لتوسيعها وتعقيمها وإنشاء مراكز جديدة منعاً للاكتظاظ. ومليار ليرة لبنانية خلال أسبوع لنفس الهدف (..) وباقي الفلوس المتوفرة رح نستعملها إن شاء الله بدفع الكفالات او الغرامات عن السجناء يلي بعدهم موجودين بالسجن بس لأن عليهم غرامات». ذكّر المشنوق المشاهدين على الهواء مباشرة بأن الجمعية الخاصة ما تزال موجودة. لكن، لو أنّ الهبات المقدّمة من تلك الجمعية قد احدثت فرقاً كبيراً في مجال تاهيل السجون، هذا إن قُدّمت فعلاً للمستفيد الأول بالطرق السليمة، هل كان عليه تذكير الناس بها؟ لماذا أعاد إحياء اسمها بعد غياب؟

> ودققت في صحتها، وتبيّن أن هذه القضية تستحق فتح تحقيق قضائي موسّع واستدعاء كل من له علاقة بالامر والاستماع إلى إفادته لاتخاذ الإجراء ات القانونية المناسبة. ولا شك ان تعدّد تحرّك القضاء بشكل حاسم في هذه القضية يساهم في تحفيز الفساد والإثراء غير المشروع بحجة الإصلاح وحقوق الإنسان

استغلال السلطة..

عُرّف الفساد في المادة الأولى من القانون الرقم 175 تاريخ: 2020/5/8، «مكافحة الفساد في القطاع العام وإنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد»، على انه «استغلال السلطة أو الوظيفة أو العمل المتصل بالمال العام بهدف تحقيق مكاسب أو منافع غير مشروعة لنفسه أو لغيره، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة».

ووفق نص المادة الثالثة من القانون نفسه، فإن الأفعال التالية تُعدّ جرائم فساد:

1- ذيل الالتزامات أو سوء تنفيذها أو الاستحصال على الرخص من أحد أشخاص الحق العام جلباً للمنفعة الخاصة إذا حصل أي منها خلافاً للقانون.

2- استخدام الأموال العامة، ووسائل الدولة وسائر أشخاص الحق العام، خلافاً للقانون جلباً لمنفعة خاصة.

3- لا يشترط أن تحصل المنفعة الخاصة التي تتأتّى عن جرائم الفساد (..) بل يمكن أن تنشأ عن الاستفادة من المشاريع المنوي تنفيذها وإن لم تُنفّذ.

(هيثم الموسوي)

نظارات الأجانب أولى من السجون؟

تشير بركات إلى شيك صُرف لصالح المديرية العامة للأمن العام بتاريخ 2014/8/13 بقيمة 500 ألف دولار أميركي، غير مسطّر (chèque non barré)، أي إن المبلغ ليس للمستفيد الأول أو أنه قد قُبض نقداً، علماً أن هذا الأمر مخالف لطريقة عمل فرع بنك بيبلوس في حال كان الدفع لجهة رسمية. وفي بيان صدر عن مكتب شؤون الإعلام في المديرية العامة للأمن العام في حزيران المنصرم رداً على كلام بركات جاء فيه: «تم تداول فيديو مصوّر على مواقع التواصل الاجتماعي، ورد في مقطع منه أن الأمن العام قبض من «الجمعية اللبنانية لتأهيل السجون والنظارات»، شيكاً مصرفياً بقيمة 500 ألف دولار أميركي..». وأضاف أن «المديرية العامة للأمن العام استلمت من الجمعية المذكورة ثلاثة شيكات مصرفية، وليس شيكاً واحداً كما ورد في الفيديو، وأن قيمة الشيكات الثلاثة هي مليون وستة آلف دولار، وليس فقط خمسماية آلف دولار، وقد أودعت الأموال في حساب المديرية وفقاً للاصول». وأن المديرية قامت بصرف هذه الهبة تنفيذاً لاستراتيجية تحديث وتاهيل دوائر ومراكز الأمن العام، ومنها «مركز التوقيف الاحتياطي» (نظارة الأمن العام). علماً أن المادة الأولى من المرسوم رقم 49/14310 «تنظيم السجون وأمكنة التوقيف ومعهد إصلاح الأحداث وتربيتهم»، تنصّ على أن السجون تخضع لسلطة وزير الداخلية الذي يكلّف المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي إدارة السجون وحراستها. وبالتالي من المستغرب عدم إحالة تلك الهبة إلى حساب مخصّص لوزارة الداخلية أو للمديرية العامة لقوى الأمن الداخلي والاكتفاء، بإحالة الأموال إلى المديرية العامة للأمن العام التي تدير وتحرس نظارات توقيف مؤقت محصورة بغالبيتها بالأجانب.

متابعة

ماضي «سَوق»

فداء عبد الفتاح

أرخت الأزمة الاقتصادية بظلالها على نواحي الحياة كافة، إلا أنها شدّت الخناق أكثر على المحتجزين قيد التوقيف الاحتياطي والممنوعين من الحرية. «ما في سَوق» هي الجملة التي يخشاها الأهل المنتظرون أمام أبواب قاعات المحاكم وغرف القضاة. كما يخشاها المحامون لأن السَوق حبل نجاة من تعب قد يستمر شهوراً، قبل أن تحدّد جلسة ويُساق المتهم للاستماع إليه للمرة الأولى حتى تسلك القضية مسارها القانوني الطبيعي؛ إما بتسريح المتهم لعدم وجود دليل على إدانته، أو بتركه موقوفاً مع حق تقديمه إخلاء سبيل بموجب كفالة بعد إجراء الاستجواب.

بعد توقيفه احتياطياً لمدة 16 شهراً، أحيل نور (17 عاماً) إلى المحاكمة أمام محكمة جنايات الأحداث بجرائم عدة، فصدر الحكم بالاكتفاء بمدة توقيفه وتركه فوراً ما لم يكن موقوفاً بجرم آخر، ليتبيّن بعد إبلاغ القلم العدلي في سجن رومية بالحكم، أن هناك محضر مخدرات باسم القاصر ويفترض معرفة مصيره وإبراز ما يثبت أنه غير موقوف بسببه.

وبعد المراجعة، تبيّن أن هذا المحضر الملحق بالدعوى الأساسية فُصل عنها وأحيل إلى قاضي التحقيق في بعبدا بجرم ترويج واتجار بالمخدرات. لم تتمكن من سَوق الموقوف لحضور جلسة استجواب أولى لإخلاء سبيله، فقرر قاضي التحقيق بعد مراجعة الملف أن يتركه من دون استجواب نظراً إلى مدة توقيفه الطويلة وإلى حيثيات الملف التي تبيّن أن لا علاقة للموقوف الحدث بها.

أحيل الملف لأخذ رأي النيابة العامة الاستئنافية، التي رفضت الطلب قبل يوم من عطلة عيد الأضحى، وحدد قاضي التحقيق موعد الجلسة بعد العطلة مباشرة وإجراءها عبر تطبيق zoom في حال تعذّر السوق.

وبدأت معركة تحقيق هذا الاتصال «المعجزة» في بلد مثل لبنان، حيث المحامي والقاضي ومندوبة الأحداث وعناصر الدرك في مبنى سجن الأحداث يخوضون معركة سباق مع الوقت، فلا كهرباء في سجن رومية عند الساعة الثالثة ظهراً، الأمر الذي يؤجل الجلسة أسبوعاً إضافياً.

هكذا تُعرقل بديهيات سير العدالة في لبنان وتُنتهك حقوق الإنسان ويُترك الموقوفون ظلماً لشهور قيد التوقيف الاحتياطي من دون مثولهم أمام قاضٍ، لأسباب لوجستية لم يعد مقبولاً غيابها في هذا الزمن، رغم إنفاق ملايين الدولارات التي تدفع هبات ومساعدات لجمعيات تدّعي العمل في خدمة حقوق الإنسان.

يبقى المحظيون والمدعومون مرتاحين في جميع الظروف، فلا يخفى على كل العاملين في الشأن القضائي أن من يملك المال والعلاقات يملك سيارة تنقله إلى جلسة الاستجواب. وبات أمراً مبرراً أن يقول المحامي أو الموقوف لعناصر قوى الأمن المكلفين بنقل السجين «بعيّلكم بنزين على حسابي» كي يضمن مثوله أمام القاضي ولا يُترك لشهور قبل أن يساق إلى جلسة استجواب أولى شكلية وأساسية. ليتمكن من ممارسة حقه في تقديم طلب إخلاء سبيل.

لم نكن قبل الأزمة أفضل حالاً، لكننا بتنا اليوم أمام أزمة من نوع آخر تجعل الفساد قاعدة، واستيفاء الحق بالذات قاعدة، وعدم احترام القانون قاعدة. وربما لم يعد قوس العدالة عادلاً حتى لأهله، فكيف سيحكم بالعدل من لا عدل في ظروف عمله؟

المختبر الجنائي

التحقيقات الجنائية ليست NETFLIX
لتطوير معايير «إعادة تمثيل الجريمة»

يبدو أن التحقيق الجنائي اصبح «ممتعاً للمشاهدة». في حين ان إعادة تمثيل الجريمة هي إجراء يُستخدم غالباً في جرائم القتل ويُعدّ ضرورياً في بعض القضايا لجمع الأدلة. إلّا ان عرضه في الوسائل الإعلامية يشكّل انتهاكاً لحق المشتبه فيه في المحاكمة العادلة، ويُعدّ امراً حسّاساً من الناحية الاخلاقية. كما يفترض ان يراعي هذا الإجراء عدداً من المبادئ القانونية والاخلاقية والمعايير العلمية، للحفاظ على سرّية التحقيق من جهة، ولحماية حقوق المشتبه فيهم وتأمين سلامتهم من جهة اخرى

جنان الخطيب

«قُتلت راجية العاكوم على يد طليقها»، فُجعت بلدة بسابا الشوفية بهذا الخبر المأساوي بتاريخ 2023/5/25، وفق ما جاء في بلاغ لقوى الأمن الداخلي. وقد أصدرت المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي بلاغاً ثانياً بعد أيام جاء فيه: «جرى قبل ظهر اليوم 29-5-2023 تمثيل شجيرة القتل التي هزّت الرأي العام اللبناني. وقد مثّل الجاني جريمته بحضور المحامي العام الاستئنافي في جبل لبنان القاضي رامي عبدالله، قائد سريّة بيت الدين في وحدة الدرك الإقليمي المقدّم جوني بجّاني، قائد فصيلة شحيم النقيب حمد قيس، وعدد من ضبّاط ورتباء قوى الأمن الداخلي. وقد استمع الحاضرون إلى تفاصيل من الجاني تتعلّق بالجريمة، منذ بداية لقائه بطليقته إلى مجمل التفاصيل حول دهسه المغدورة، حتّى فارقت الحياة». وكانت قد انتشرت صور هذا «الإجراء السرّي» عبر الوسائل الإعلامية وجرى تناقلها عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

قد تكون إعادة تمثيل الجريمة أمراً ضرورياً للقضية لعرض وتوثيق الأفعال الجرمية بشكل منظّم وتحديد تسلسل الأحداث، في المكان والزمان الفعليين، مع مراعاة منطقية تسلسلها لتكون متّسقة مع الأدلة التي تم الحصول عليها من الموقع. يُستخدم هذا الإجراء كجزء من جمع الأدلة لإثبات ذنب أو براءة المشتبه فيه، ولاستخراج حقائق أكثر وضوحاً تتعلق بخطورة الفعل أو سبب أفعال المشتبه فيه أو تخفيف العقوبة، مثل ما إذا كان دفاعاً مشروعاً أو بسبب الضرورة.

عملياً، قد تواجه إعادة تمثيل الجريمة مشكلات تتعلق بانتهاك حقوق وكرامة المشتبه فيه، والحق في افتراض براءته، والحق في تأمين الحماية والسلامة من قبل الدولة. إلى جانب ذلك، تقوم الوسائل الإعلامية بتسجيل عملية المخالفة تلك وتنشرها على الملأ. الأمر الذي يؤدي أيضاً إلى تدمير سمعة المشتبه فيه وقيمته الاجتماعية، ولا سيّما أنه يُعرض خبر إعادة تمثيل الجريمة وبيان ملابساتها وأنماطها وإجراءاتها وطرق ارتكابها، من دون التستر على الوجه والاسم واللقب والمعلومات التي تبيّن هوية المتّهمين. نستعرض في ما يلي بعض المعايير التي قد تساعد في تطوير هذا النوع من الإجراءات، التي من المفترض أن تكون «سرّية»، مع الحفاظ على حقوق المشتبه فيهم.

> **لتطوير الإجراءات «السرّية» مع الحفاظ على حقوق المشتبه فيهم**

حماية المموّل

من المفترض ترتيب إعادة تمثيل الجريمة، لغرض جمع الأدلة، بطريقة تراعي حياة المشتبه فيه وتأمين الحماية في مسرح الجريمة. ففي بعض الأحيان يكون من الضروري مواجهة المشتبه فيه مع الضحية أو مع أقارب الضحية، الأمر الذي قد يعرّض المشتبه فيه لخطر الاعتداء. لذلك ينبغي أن يكون لدى ضبّاط وعناصر الشرطة خطة لتقييم ومعالجة الاضطرابات المختلفة التي قد تحدث. كذلك، يُفضّل تجنّب إعادة تمثيل الجريمة في الحالات التي يمكن من خلالها الحصول على النتائج والمعلومات المطلوبة على أساس شهادات شهود العيان في مسرح الجريمة.

خبير جنائي محترف

يُعدّ وجود خبير جنائي لديه المعرفة والقدرة اللازمتان أمراً أساسياً لتحديد ما إذا كانت اعترافات المشتبه فيه تتناسق مع الأدلة في مسرح الجريمة والعلاقة المتبادلة بينها، خاصة في الحالات التي تُنتزع فيها الاعترافات من المشتبه فيهم تحت الضغط، أو في الحالات التي يعترف المشتبه فيه بذنب لم يرتكبه لأغراض أخرى (المال، أو حماية المرتكب الحقيقي، أو غيرها).

ففي تلك الحالات يكون الخبير الجنائي قادراً على تحديد ما إذا كانت سلسلة الأحداث التي يصفها و«يمثّلها» المشتبه فيه قد أنتجت فعلاً الأدلة التي رُفعت ووُثّقت في مسرح الجريمة، بما في ذلك مسار الطلقة، والحركة في مسرح الجريمة والانسيابات الدموية وغيرها.

بالإضافة إلى ضرورة وجود محام للمشتبه فيه خلال إعادة تمثيل الجريمة. فإلى حين صدور الحكم المبرم من المحكمة، من حق المشتبه فيه وجود محام من أجل تقديم المشورة الواضحة والمساعدة في كل خطوات التحقيق ولا سيّما في إجراءات إعادة تمثيل الجريمة.

الحفاظ على قرينة البراءة

من الضروري أن يستند إجراء إعادة تمثيل الجريمة إلى مبادئ عملية واضحة ودقيقة، تحدد المتطلبات واللوائح القانونية التي تنص على نوع القضايا الواجب إعادة تمثيل الجريمة فيها، ونوع الإجراء الذي لا يجب القيام به. على أن تكون إعادة تمثيل الجريمة قائمة على أساس المبدأ الذي يفترض أن المشتبه فيه لا يزال بريئاً حتى تحكم المحكمة بأنه مذنب.

(بيتريز كاسترو ـ إسبانيا)

SCOOP

تعرض وسائل الإعلام الأخبار للجمهور على أساس «الحقيقة» بطريقة درامية تشحذ عواطف الناس لكراهية المشتبه فيه «البريء حتى تثبت إدانته». فعندما يعترف المشتبه فيه بارتكاب الجريمة، يُقدّم لإعادة تمثيل الجريمة، التي تكون في حضور الجمهور ووسائل الإعلام الذين يستجيبون بطرق مختلفة وفقاً لوجهات نظرهم وآرائهم وشعورهم، رغم أن المحكمة لم تحكم بعد إذا كان المشتبه فيه هو الجاني الحقيقي.

من المفترض أن تكون إعادة تمثيل الجريمة بعيدة عن الوسائل الإعلامية والجمهور، فهي إجراء يُستخدم لغرض جمع الأدلة، أي يقع ضمن التحقيقات السرّية. ويُعدّ نشر الوسائل الإعلامية لإعادة تمثيل الجريمة خرقاً واضحاً للإجراءات القانونية العادلة وانتهاكاً للحق بالخصوصية للمشتبه فيه.

(موقع قوى الامن الداخلي)

في العمق

البحث عن الحقيقة تحت سقف المبادئ القانونيّة الإجرائيّة

زياد مكنّا*

تمثيل الجريمة إجراء كَرَّسه الواقع العملي في التحقيق الجزائي، خصوصاً في جرائم القتل، بحيث ينتقل القائم بالتحقيق إلى مسرح الجريمة ومعه الأشخاص الذين اعترفوا بارتكابها لتمثيل الأفعال التي قاموا بها أثناء تنفيذها. هذا ما يحصل عادةً، لكن، يمكن اللجوء إلى هذا الإجراء أيضاً في حالة إنكار المشتبه فيه أو المُدَّعى عليه، مساهمته في الجريمة، فيتم تمثيلها من قِبَل الشهود وأحياناً من مشتبه فيهم أو مدّعى عليهم آخرين بحضوره، وذلك لمواجهته في مسرح الجريمة، بما هو متوافر في حقّه من معطيات وقرائن. هذا الواقع يفرض التساؤل عن السند القانوني لهذا الإجراء، وغايته، وكيفيّة تنفيذه ليكون منسجماً مع المبادئ القانونيّة الإجرائيّة.

لم يُقيّد المشترع سُلطات التحقيق بإجراءات محددة حصراً في معرض جمع الأدلّة، فقد ذكر بعضها كالتفتيش، والاستعانة بالخبرة الفنيّة والكشوفات الحسيّة على أماكن وقوع الجرائم على سبيل المثال، مُفسحاً المجال أمام هذه السُّلطات، في أكثر من مكان في قانون أصول المحاكمات الجزائيّة، للقيام بأي إجراءات تحقيقيّة ضروريّة لجمع الأدلة، شرط الالتزام بالمشروعيّة، وإثبات هذه الإجراءات خطياً.

تمثيل الجريمة إذاً، إجراء يجيزه القانون، متى كان ذلك لازماً لجمع الأدلّة. ويخضع هذا الأمر لتقدير المرجع القضائي الذي يتولّى التحقيق أو الإشراف عليه. قد يكون هذا الإجراء فعلاً وسيلة لتوفير دليل حاسم، وأعرض هنا مثلاً من إحدى القضايا، حيث أصرَّ المشتبه فيه على أنه نفّذ جريمة القتل بمفرده، ونقل الجثة إلى المكان الذي عُثر عليها فيه ودفنها تحت التراب. وعند «تمثيل الجريمة» تبيّن أنه يتعذّر عليه أن يحمل ما يساوي وزن الجثة بمفرده من مكان القتل إلى مكان الدفن، الذي يقع في مرتفع جبلي، والحفر في ذلك المكان، ما وفّر دليلاً أكيداً على وجود أشخاص آخرين ساهموا معه في الجريمة، فاتّجه التحقيق إلى البحث عمّن تتوافر بحقهم شبهة المساهمة.

> **لا يجوز أن يُفرَض على المشتبه فيه، أو المدّعى عليه، تمثيل الجريمة خلافاً لإرادته**

في المقابل، يحصل تمثيل الجريمة في بعض الحالات بعد اكتمال التحقيق، ويكون الهدف منه غير مرتبط بجمع الأدلّة، إنما يُبرَّر بطمأنة الرأي العام حول جلاء ملابسات الجريمة التي تكون إجراءات التحقيق فيها موضع متابعة منه. هذه الغاية مهمة، إلّا أنه يمكن بلوغها بوسائل أخرى غير تمثيل الجريمة، الذي يجب أن يبقى إجراءً تحقيقياً يهدف إلى جمع الأدلّة. في هذا الخصوص، من المهم الأخذ في الاعتبار ما اقترحه الدكتور سمير عالية لجهة استحداث مركز «الناطق باسم النيابة العامة»، المنوط به إصدار البيانات اللازمة، لإطلاع الرأي العام على مجريات التحقيقات التي يكون مُهتماً بالاطّلاع عليها، من دون الغوص في تفاصيلها حفاظاً على سريّة التحقيق.

إن أهميّة تمثيل الجريمة، متى كان لازماً، على صعيد نتائج التحقيق أمرٌ يفرض أن يُنفّذ مع التقيّد التام بالمبادئ القانونيّة الإجرائيّة. فمن جهة أولى، لا يجوز أن يُفرَض على المشتبه فيه، أو المدّعى عليه، تمثيل الجريمة خلافاً لإرادته، لأن القانون يوجب صراحةً ألّا تكون إجراءات التحقيق مشوبة بعيوب الإكراه المعنوي أو المادي. فضلاً عن ذلك، يتمتّع الأشخاص الخاضعون للإجراءات الجزائيّة بحق الصمت، فلا يجوز إلزامهم بالإجابة عن أي سؤال، لغاية تنفيذ تمثيل الجريمة إن هم اختاروا عدم الجواب.

من جهة ثانية، يفترض التنبّه إلى أنه في معرض تمثيل الجريمة يحصل استجواب للمشتبه فيه، أو المدّعى عليه، إذ تُوجّه إليه الأسئلة ويُواجه بالأدلّة، ويكون له الحق بالاستفادة من جميع حقوقه الإجرائيّة الملازمة للاستجواب، ومنها الحق في الاستعانة بمحام. وينبغي إعلامه بحقوقه هذه، وتمكينه من ممارستها في حال رغب بذلك.

من جهة ثالثة، أهمية التقيُّد بمبدأ سريّة التحقيق في المرحلة السابقة للمحاكمة الجزائيّة. ففي الكثير من الأحيان تُنقل إجراءات تمثيل الجريمة عبر شاشات التلفزة، ولا شك أن ظهور المشتبه فيه أو المدّعى عليه، على هذا النحو، وهو يُجيب على أسئلة القاضي ويُمثّل الجريمة يتناقض مع هذا المبدأ. كما يُشكّل هذا الظهور مساساً بمبدأ أصل البراءة المتعارف على تسميته «قرينة البراءة»، إذ يُقدّم المشتبه فيه، أو المدّعى عليه، بشكل جازم على أنه الفاعل، في حين أن قرينة البراءة لا تزول إلّا بصدور حكم جزائي مبرم بالإدانة. ولا يُغيّر في ذلك أن يكون المشتبه فيه، أو المدّعى عليه، قد اعترف بارتكاب الجريمة، إذ إن الاعتراف في سياق الإجراءات الجزائيّة، بخلاف الإجراءات المدنيّة، لا يتمتّع بقوة ثبوتيّة مطلقة، بل هو دليل، يخضع لتقدير القاضي الذي يهمله إذا تبيّن له أنه غير مُطابق للواقع، مثل أي دليل آخر. والأمثلة كثيرة في الأحكام والقرارات القضائيّة التي انتهت إلى إعلان براءة الأشخاص الملاحَقين، أو منع المحاكمة عنهم رغم اعترافاتهم، بعدما تبيّن أنها غير صحيحة، وقد حصلت لعدّة أسباب، منها قبض الأموال والتغطية على الفاعل الحقيقي.

في ما خصّ إثبات تنفيذ تمثيل الجريمة، يفترض تنظيم محضر خطّي يشتمل على دقائق التنفيذ، على أن يُذكر فيه الأشخاص الذين حضروا هذا التنفيذ، وصفة كلّ منهم، ودوره في التحقيق. يقتضي أيضاً تسجيل تنفيذ هذا الإجراء بالصوت والصورة، إذ إن التدوين الخطي لا يمكنه أن ينقل ما حصل بدقة لجهة وصف وقائع التمثيل وتفاعل الأشخاص المعنيّين، ولا سيّما للمراجع القضائية التي ستنظر في القضيّة في مراحل لاحقة.

خلاصة القول: إن تمثيل الجريمة هو إجراء قانوني غايته خدمة مصلحة التحقيق عبر توفير الأدلّة اللازمة في معرض البحث عن الحقيقة. وبالنظر إلى أهميّته، يفترض عند تنفيذه الالتزام الكامل بالمبادئ القانونيّة التي ترعى الإجراءات الجزائيّة، وإلّا أصبحت نتائجه عرضة للبطلان، ما ينعكس سلباً على هذه المصلحة.

*دكتور في الحقوق ومحام

الجريمة المعلوماتية

في ظل الافتقار إلى القواعد التنظيمية والمعايير المهنية والأخلاقية التي ترعى استخدام الذكاء الاصطناعي في قطاع العدالة، ومع غياب القوانين والتشريعات الكافية لمعالجة المخاطر المرتقبة التي قد تنتج من استخدام «العدالة الذكية» بشكل يضمن سيادة القانون وحماية الحقوق والحريات، تُطرح العديد من التساؤلات حول التحديات التي يخلقها الذكاء الاصطناعي على مستويات عدة والمخاوف المترتبة عن دمج الذكاء الاصطناعي في النظام القضائي والإدارة القانونية. هذه الإشكالات وغيرها، كانت محور المؤتمر القانوني الدولي الذي نظمته المنظمة العربية للمحامين الشباب - فرع لبنان الاسبوع الفائت في بيروت تحت عنوان «الذكاء الاصطناعي في مواجهة الجريمة الإلكترونية - الواقع والتحديات»، برعاية نقيب المحامين في بيروت ناضر كسبار ومشاركة محامين من عدد من الدول العربية

الذكاء الاصطناعي في نظام العدالة
تهديد أم فرصة؟

(من الويب)

فاطمة خشاب درويش

لا يختلف اثنان على أهمية الذكاء الاصطناعي والدور الأساس الذي يلعبه في مختلف القطاعات والمجالات. ولكن، ماذا عن دوره في تحسين سير مرفق العدالة وتحقيق الشفافية؟ هل يمكن للذكاء الاصطناعي بأجهزته الذكية أن يعيد تشكيل قطاع العدالة ويعالج المشكلات المزمنة التي يعاني منها القضاء في لبنان؟ وما هي التحديات والمخاوف التي قد تنتج عن دمج الذكاء الاصطناعي في النظام القضائي؟

نستعرض في ما يلي أبرز ما جاء في المؤتمر عن القاضي السابق والأستاذ الجامعي فادي العنيسي، والأمينة العامة الإقليمية لمنطقة الشرق الأوسط للجمعية الدولية للدفاع الاجتماعي لسياسة جزائية إنسانية (ISSD) التابعة للأمم المتحدة، والمستشارة القانونية الدولية المعتمدة لدى الإسكوا في القوانين السيبيرانية جنان الخوري.

عدالة «ذكية»

تحدّث العنيسي عن أهمية استخدام الذكاء الاصطناعي في قطاع العدالة، بما في ذلك منصات البحث القانوني، والتحليلات التنبّئية في العدالة الجنائية، والمساعدين الافتراضيين، مشدداً على ضرورة استغلال إمكانات الذكاء الاصطناعي الذي يتميّز بقدرته على تحليل البيانات وإجراء البحث بسرعة قصوى، وهذا من شأنه إرشاد القانونيين وتمكينهم من وضع استراتيجيات تتسم بالدقة والشمولية. وبالتالي، تمكين قطاع العدالة في الشرق الأوسط من تلبية احتياجات المجتمع، وتعزيز النظام العادل والكفء والشامل للجميع.

ولفتت الخوري إلى أنه من المتوقع أن يكون للذكاء الاصطناعي دور مهم في تسهيل سير العدالة وتحقيق الشفافية واختصار الوقت في القضايا. فعلى سبيل المثال، يستغرق الذكاء الاصطناعي مدة 26 ثانية لمراجعة الاتفاقيات والعقود مقابل 92 دقيقة تقريباً للمحامي.

وأضافت أن هذه التقنيات تستخدم لأغراض عدة في قطاع العدالة، منها التنبؤ ببعض الأحكام القضائية بدقة بلغت 79% (المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان)، واكتشاف الاحتيال في المشتريات الحكومية، وتسجيل تعاملات الشرطة، واستخدام طائرات بدون طيار لمراقبة السجناء، واستخراج إذن القبض والتفتيش في 10 دقائق، وتدشين عصر «الشرطي الروبوت»، وإبطال القنابل، واكتشاف شبكات غسيل الأموال، وغيرها. فيما يُبحث في الوقت الراهن في توسيع تطبيقات الذكاء الاصطناعي كي يتضمن شهادات الشهود ومذكرات المحامين، وربما ستشهد البشرية «قاضياً إلكترونياً».

قيود ومخاوف

أشارت الخوري إلى تحديات متنوعة يخلقها الذكاء الاصطناعي على مستويات عدة تشريعية، وتنفيذية، وإدارية، وفنية، وتطبيقية. وأضافت أن التحدي الأكبر يتمثل بفقدان السيطرة البشرية على الآلة وتفردها الذاتي في الصراعات، والنفاذ إلى كل البيانات من دون أي اعتبار للسيادة الوطنية أو الحرمة الشخصية. وتتعاظم هذه التحديات في ظل غياب تعريف محدد للذكاء الاصطناعي والقواعد التنظيمية والأخلاق المهنية التي ترعاه، ومدى عدّه «بشرياً» وفقاً للقانون. بالإضافة إلى حق الإنسان في استخدام التكنولوجيا الذكية وحق الدول في تأمين أمنها القومي، ومدى منح الحقوق الإنسانية إلى الرجل الآلي أو السيدة الآلية، وحلول الترجمة الآلية السريعة والعملية محل نظيرتها البشرية الدقيقة والمحترفة.

أما بالنسبة إلى عيوب دمج الذكاء الاصطناعي في النظام القضائي والإدارة القانونية، فقد فنّد العنيسي عدداً من القيود والمخاوف المتعلقة باستخدام الذكاء الاصطناعي في هذا القطاع، وأشار إلى أن الأحكام الصادرة قد تكون ناقصة وخالية من التفسير البشري، كون أنظمة الذكاء الاصطناعي تعمل بناءً على خوارزميات وقواعد محددة مسبقاً. فهي إذ تتميز في معالجة كميات كبيرة من البيانات وتحديد الأنماط، قد تواجه صعوبات في الاستدلال القانوني والتفسير المعقد، ولا سيّما أن القضايا القانونية قد تنطوي على تفاصيل دقيقة قد تتطلب خبرة بشرية. لذلك، فإن الاعتماد الحصري على الذكاء الاصطناعي قد يؤدي إلى تجاهل عوامل مهمة وبالتالي إلى قرارات غير دقيقة.

من جهة أخرى ورغم نجاح مهمة القاضي الروبوت في بعض التجارب، إلّا أن الخطورة تكمن بخلوّه من المشاعر الإنسانية التي يتمتع بها القاضي الإنسان. على سبيل المثال، الحكم في قضية أم سرقت رغيف خبز لأطفالها الجائعين، هنا تكمن روح القانون التي قد لا يستطيع الروبوت تطبيقها.

> **القاضي عنيسي يحذّر: الاعتماد الحصري على الذكاء الاصطناعي قد يؤدي إلى قرارات غير دقيقة**

عدالة «متحيّزة»؟

حذّر العنيسي من خطورة التحيّز التي قد تعمل بها أجهزة الذكاء الاصطناعي، مؤكداً أن استخدامها في النظام القضائي يحتاج إلى دراسة مستفيضة للمسائل القانونية والأخلاقية لضمان العدالة والحفاظ على الحقوق الأساسية. وأن هذه الأجهزة تخضع إلى تدريب الخوارزميات على كمية ضخمة من البيانات، فإذا كانت هذه البيانات مبنية على تحيّزات أو تعكس قلة المساواة الجهازية، فقد يؤدي استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي إلى تكرار هذه التحيّزات، ما يفضي إلى نتائج غير عادلة. كما يمكن أن تكون عملية اتخاذ القرار للذكاء الاصطناعي صعبة التفسير أو التبرير، ما يثير قلقاً بشأن الشفافية والمساءلة. وأشار إلى استطلاع للرأي أجرته (ProPublica) نُشر في 23 أيار 2016، والذي خلُص إلى أن الذكاء الاصطناعي (COMPAS Recidivism Algorithm) يبالغ بإدانة المتهمين من أصول أفريقية أو ذوي البشرة الداكنة، ويخفف من مؤشر إدانة ذوي البشرة البيضاء، ما يثبت تحيّزه العنصري وعدم موضوعيته. وأكد العنيسي ضرورة وجود إجراءات وبروتوكولات صارمة لحماية البيانات التي يحويها النظام القضائي وحفظ حقوق الخصوصية للأفراد المشاركين في الإجراءات القانونية. كونها معلومات حساسة وسرّية تتعلق بالأفراد والقضايا، متخوفاً من خطر الوصول غير المصرّح به، وانتهاك البيانات، أو سوء استخدام المعلومات الشخصية.

بنية تحتية تكنولوجية

الدمج الناجح للذكاء الاصطناعي في النظام القضائي والإدارة القانونية يتطلب بنية تحتية تكنولوجية موثوقة لدعم تنفيذ وصيانة الأنظمة الذكية، التي قد لا تتوفر لدى جميع المرافق. وأشار العنيسي إلى أن هذا الأمر يمكن أن يؤدي إلى زيادة الانقسام الرقمي والفروق في الوصول إلى التكنولوجيا، وبالتالي إلى مزيد من التفاوتات في النظام القضائي. وأوضح أن دمج الذكاء الاصطناعي في قطاع العدالة قد يخلق مقاومة وتحديات في ما يتعلق بالتكيّف والقبول من قبل عدد من المحترفين القانونيين وأصحاب المصلحة المشككين في الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في عمليات اتخاذ القرار الحاسمة. إذ يعدّ الذكاء الاصطناعي بالنسبة إليهم عامل تهديد بفقدانهم فرص العمل وتفتت الخبرات البشرية، لذا، من الضروري -وفق العنيسي- معالجة هذه المخاوف من خلال التدريب السليم والتعليم والتواصل الفعّال حول فوائد الذكاء الاصطناعي في تعزيز الكفاءة والعدالة في النظام القضائي.

إطار قانوني منظم

يتفق العنيسي والخوري على أهمية الذكاء الاصطناعي الذي سيساهم بلا أدنى شك في تطوير الأنظمة القضائية، إلا أن التحدي الأساسي يتمحور حول مدى ملاءمته للتشريعات الموجودة. وقد شدد العنيسي على ضرورة إصدار تشريعات خاصة بالذكاء الاصطناعي، وعلى وضع إطار قانوني لاستخدام تطبيقاته كي تكون منسجمة مع الصالح العام ومتوافقة مع أحكام القانون ودوره في حماية المجتمع. إلى جانب العمل على وضع مناهج جامعية بهدف إعداد المحامين على استخدام الذكاء الاصطناعي، وتأهيل الكوادر البشرية في مجال المهن القانونية والأنظمة القضائية لتمكينها من التعامل مع هذه التقنيات الحديثة والذكية. ونبّهت الخوري من تحكم الذكاء الاصطناعي بمفاصل مؤسسات الدول والمجتمع العالمي والحياة اليومية للمواطنين وسط مجتمع اصطناعي Artificial Society، بحيث يتخلى فيه البشر عن السيطرة، مشيرةً إلى أن الأسلحة ذاتية التحكم ربما تؤدي، في بعض الأحيان، إلى دمار كارثي وموت فجائي، ما يستدعي الحاجة إلى التغيير في عالمنا بأنتهاج أفضل الوسائل التكنولوجية والضوابط القانونية.

أخلاقيات «التقانة»

تندرج أخلاقيات الذكاء الاصطناعي كفرع معاصر في علم الفلسفة تحت عنوان «أخلاقيات التقانة» والتي تختص بالمسائل الأخلاقية المرتبطة بالروبوتات وأنماط الذكاء الاصطناعي المختلفة، وتُناقش حالياً أوجه الشبه او الاختلاف بين حقوق الروبوتات وحقوق الحيوان.

في مبادرة قانونية، حاول الكاتب الروسي إسحق أسيموف (1920-1992)، وضع ثلاثة قوانين أخلاقية للروبوتات (Three Laws of Robotics) تمهّد لبرمجة أخلاقيات الروبوت وفقاً لها، بهدف تنظيم حقوقها وواجباتها، وتناغم علاقتها بالإنسان بعيداً عن أي أخطار أو مشكلات، واختصرت الخوري هذه القوانين بما يلي:

- عدم السماح للروبوت بإيذاء البشر أو بالسكوت عمّا قد يسبب أذى له.
- واجب الروبوت إطاعة أوامر البشر إلا إذا تعارضت مع القانون الأول.
- واجب الروبوت في المحافظة على بقائه إذا لم يتعارض ذلك مع القانونين الأول والثاني.

دليل «تالين»

على صعيد المكافحة، أشارت الخوري إلى وجود اجتهادات فقهية عديدة، والاستجابة الدولية الأهم والأبرز جاءت في ما يسمى «دليل تالين» للقانون الدولي المنطبق على الحرب الإلكترونية Tallinn Manual on the International Law Applicable to Cyber Warfare ، الذي قام بإعداده مجموعة من فقهاء القانون الدولي. نُشر الإصدار الأول منه عام 2013، ويحتوي على 59 قاعدة قانونية إرشادية لعمل أو سلوك الدول في سياق الحرب الإلكترونية.

ثم أُطلق الإصدار الثاني منه في عام 2017، ليحتوي على 190 قاعدة قانونية إرشادية. ويحدد خصائص الهجوم الإلكتروني، بما في ذلك استهداف البنية التحتية الحيوية وتعطيلها وضرب مرافق الرعاية الصحية وتدمير ممرات النقل والسيارات التي تحتوي على أشخاص ومحاولات اختراق شبكات الكمبيوتر للقوات العسكرية للدول المعارضة. كما ينص «دليل تالين» على أن العمليات الإلكترونية التي من شأنها استخدام أو التهديد باستخدام الهجمات الإلكترونية، ضد إقليم دولة ما أو استقلالية نظام سياسي معيّن بما يتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة، تُعدّ غير قانونية.

«السرعة هي جوهر الحرب»

سيقلب التطور التكنولوجي مفهوم الأمن الوطني والدولي رأساً على عقب، «إن خطّ التقسيم الجديد للعالم سيكون بين الذين يملكون المعرفة التكنولوجية وبين المحرومين منها، فمن يمتلك المعرفة سيمتلك القوة» ومن سيقود الذكاء الاصطناعي هو من سيحكم العالم (فلاديمير بوتين، أيلول 2017).

هذا ما تؤكده الخوري في حديثها عن أن الذكاء الاصطناعي يجسد اليوم أكبر المخاطر التي تواجهها الأنظمة الديمقراطية في العالم، ووضع أسس الدولة الاستبدادية الرقمية باستخدام أدوات المراقبة والأجهزة للسيطرة على السكان في بعض الأحيان. بدورها قد تلجأ بعض المنظمات الإرهابية إلى شن الهجمات والاعتداءات الإلكترونية، متوقعةً أن تمتلك الولايات المتحدة عدداً من الروبوتات المقاتلة يفوق عدد الجنود البشريين عام 2025.

في هذا السياق، طرحت الخوري تساؤلات ذات علاقة باستخدام الذكاء الاصطناعي في الحروب ومنها: ما مدى قدرة الجندي الإلكتروني على التمييز بين المدنيين والعسكريين؟ وما درجة الحرية الفعلية التي ستُمنح لهذا الذكاء الاصطناعي كي يتخذ قراراته الخاصة بناءً على تحليله للمعلومات؟ وما هو القانون الواجب التطبيق؟ هل يمكن تحميله المسؤولية القانونية عن قراراته؟ ولا سيّما في ظل غياب الأطر القانونية والقواعد والأعراف الدولية لتحديد ما إذا كان تحرك دولة أو أحد «روبوتاتها» ضد دولة أخرى معادية لها يعدّ حرباً أم لا. وهل ستحرك الدولة المعتدى عليها «روبوتاتها» في إطار الرد الذي ينص عليه القانون الدولي العام في الدفاع عن نفسها؟ وماذا لو لم تكن تملك روبوتات هل تستعين بالجيش التقليدي؟

رغم الأهمية البالغة للحوسبة الرقمية فإن تخلّي البشر عن السيطرة الفعلية على مجريات الحرب ستكون عواقبه كارثية، يقول مدير الدراسات في مركز الأمن الأميركي الجديد ومؤلف كتاب «من أربع ساحات القتال: القوة في عصر الذكاء الاصطناعي» بول شار - Paul Scharre، في مقالة له بعنوان «مليون خطأ في الثانية -A million mistakes a second»، مؤكداً أن ذلك ممكناً خاصة في ظل غياب توجه رسمي شبه تام لترسانة تشريعية قابلة للتطبيق لتدعيم بنيتها التحتية ضد الهجمات الإلكترونية.

المجرم «الذكي»

عندما تقع تقنيات الذكاء الاصطناعي في الأيدي الخطأ

تؤدّي تقنيات الذكاء الاصطناعي إلى تفاقم المشكلات والمخاطر الأمنية الحالية، وتساهم في خلق مساحة جديدة للمجرمين من أجل العبث في ساحة الفضاء الافتراضي، كالتالي:

تنفيذ هجوم إلكتروني

- عبر إنشاء برمجيات ضارة
- من خلال أتمتة (Automation) وتفعيل عملية كتابة نصوص البرمجيات الخبيثة
- بطريقة سريعة
- لا تحتاج إلى خبرة تقنية عالية في برامج التشفير
- باستخدام برنامج مثل ChatGPT

التصيّد الاحتيالي

- جعل الاتصالات تبدو أكثر احترافية لخلوّها من الأخطاء الإملائية والنحوية
- صياغة المحتوى المستخدم في الاتصالات والنصوص ورسائل البريد المخادعة
- كتابة محتوى الهندسة الاجتماعية بطريقة أكثر فعالية

سرقة البيانات

- فرص عالية جدا لاختراق كلمة المرور في وقت قياسي
- فك 51% من كلمات السرّ الشائعة في غضون دقيقة و71% منها في يوم واحد!

اختراق برامج وأنظمة

- تستفيد شركات الحماية والأمن السيبراني من هذه الميزة للعثور على نقاط الضعف ومعالجتها قبل استغلالها
- تسليط الضوء للمهاجم على الكثير من الثغرات الأمنية والعيوب في البرامج بهدف استغلالها

تحليل البيانات المسروقة

- استخدام الروبوتات لالتقاط البيانات الحساسة التي تُباع في «الدارك ويب»
- تبسيط عملية البحث عن المعلومات المهمّة في قواعد البيانات الضخمة المسروقة
- تقليل الوقت الذي يستغرقه المهاجم لاستغلالها

جرائم أخرى

- إنشاء مقاطع فيديو وصوت مزيّفة
- فبركة صور تحاكي الواقع
- نشر البريد العشوائي
- إنشاء مواقع احتيال

إعداد
ياسر الموسوي، جنان الخطيب

القوس

■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون، بشرى زهوة
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان

alqaous alqaous22 al_qaous alqaous
01/34 99 54
www.alqaous.com info@alqaous.com